

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شجرة النبوة من صحاح البلاغة



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد 3012 لسنة 2018

مصدر الفهرسة :	IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda
رقم تصنيف LC :	BP38.09.M84 K4 2019
المؤلف الشخصي :	الخفاجي، محمد حمزة - مؤلف.
العنوان :	الشجرة النبوية في نهج البلاغة /
بيان المسؤولية :	تأليف محمد حمزة الخفاجي ؛ تقديم السيد نبيل الحسني الكربلائي.
بيانات الطبع :	الطبعة الاولى.
بيانات النشر :	كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة، 1440 /2019 للهجرة.
الوصف المادي :	١٥٩ صفحة ؛ ٢٤ سم.
سلسلة النشر :	(العتبة الحسينية المقدسة ؛ ٦١٤).
سلسلة النشر :	(مؤسسة علوم نهج البلاغة ؛ ١٧٠).
سلسلة النشر :	(سلسلة السيرة النبوية ؛ ١).
تبصرة بليوجرافية :	يتضمن هوامش، لائحة المصادر (الصفحات ١٥٩-١٥٨).
موضوع شخصي :	الشريف الرضي، محمد بن الحسين، ٣٥٩-٤٠٦ للهجرة - نهج البلاغة.
موضوع شخصي :	محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، النبي، ٥٣ قبل الهجرة - ١١ للهجرة.
موضوع شخصي :	محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، النبي، ٥٣ قبل الهجرة - ١١ للهجرة - فضائل.
مصطلح موضوعي :	أهل البيت (عليهم السلام) - فضائل - احاديث.
مصطلح موضوعي :	السيرة النبوية - احاديث.
مؤلف اضافي :	الشريف الرضي، محمد بن الحسين، ٣٥٩-٤٠٦ للهجرة.
مؤلف اضافي :	الحسني، نبيل قدوري، ١٩٦٥ - ، مقدم.
اسم هيئة اضافي :	العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). مؤسسة علوم نهج البلاغة

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية

سلسلة السيرة النبوية (١)

الشجرة النبوية من هيح البلاغة

تأليف
محمد حمزة الخفاجي

إصدار

مؤسسة علوم من هيح البلاغة

في العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة
للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م



العراق: كربلاء المقدسة - شارع السدرة - مجاور مقام علي الأكبر عليه السلام

مؤسسة علوم نهج البلاغة

هاتف: ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠ - ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣

الموقع: www.inahj.org

Email: Inahj.org@gmail.com

تنويه:

إن الأفكار والآراء المذكورة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها، ولا تعبر

بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

تخلي العتبة الحسينية المقدسة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية

مقدمة المؤسسة

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن والاهاء، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين محمد وآله الطاهرين.

أما بعد:

فلم يزل كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) منهلاً للعلوم من حيث التأسيس والتبيين ولم يقتصر الأمر على علوم اللغة العربية أو العلوم الإنسانية فحسب، بل شمل غيرها من العلوم التي تسير بها منظومة الحياة وإن تعددت المعطيات الفكرية، إلا أن التأصيل مثلما يجري في القرآن الكريم الذي ما فرط الله فيه من شيء كما جاء في قوله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾، كذا نجد يجري مجراه في قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾، غاية ما في الأمر أن أهل الاختصاصات في العلوم كافة حينما يوفقون للنظر في نصوص الثقلين يجدون ما تخصصوا فيه حاضراً وشاهداً فيها، أي في القرآن الكريم وحديث العترة النبوية (عليهم السلام) فيسارعون وقد أخذهم الشوق لإرشاد العقول إلى تلك السنن والقوانين والقواعد والمفاهيم والدلالات في القرآن الكريم والعترة النبوية.

من هنا ارتأت مؤسسة علوم نهج البلاغة أن تتناول تلك الدراسات العلمية المختصة بعلوم نهج البلاغة وبسيرة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفكره ضمن سلسلة علمية وفكرية موسومة بـ(سلسلة السيرة النبوية) التي يتم عبرها طباعة هذه الكتب وإصدارها ونشرها في داخل العراق وخارجه بغية إيصال هذه العلوم إلى الباحثين والدارسين وإعانتهم على تبين هذا العطاء الفكري والانتهاج من علوم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) والسير على هديه وتقديم رؤى علمية جديدة تسهم في إثراء المعرفة وحقوقها المتعددة.

وما هذه الدراسة التي بين أيدينا إلا واحدة من تلك الدراسات التي وفق صاحبها للغوص في بحر علم أمير المؤمنين (عليه السلام) فقد أذن له بالدخول إلى مدينة علم النبوة والتزود منها بغية بيان أثر تلك النصوص العلوية في الإثراء المعرفي والتأصيل العلمي، إذ تناول الباحث السلالة الطاهرة لسيد الخلق نبينا الكريم (عليه السلام) ممثلةً بأبائه وذريته (عليه السلام) معتمداً على ما ورد في نهج البلاغة من نصوصٍ تتحدث في هذه المسألة.

فجزى الله الباحث خير الجزاء فقد بذل جهده وعلى الله أجره

والحمد لله رب العالمين

السيد نبيل الحسيني الكربلائي

رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَا بِحَوْلِهِ وَدَنَا بِطَوْلِهِ، مَانِحِ كُلِّ غَنِيمَةٍ وَفَضْلِ وَكَاشِفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَأَزْلٍ، أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ وَسَوَابِغِ نِعَمِهِ، وَأُؤْمِنُ بِهِ أَوَّلًا بِأَدْيَاءٍ وَأُسْتَهْدِيهِ قَرِيبًا هَادِيًا، وَأُسْتَعِينُهُ قَاهِرًا قَادِرًا وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِيًا نَاصِرًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ لِإِنْفَازِ أَمْرِهِ وَإِنْهَاءِ عُذْرِهِ وَتَقْدِيمِ نُذْرِهِ ...

أما بعد ...

الشجرة النبوية شجرة مباركة حوت أعظم الخلق منذ أن خلق الله عَزَّ وَجَلَّ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى النبي الخاتم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم تفرعت هذه الشجرة إلى فروع طوال حتى أثمرت آل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فالشجرة النبوية تنقسم على قسمين: آبائه وعترته (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، فأصلها محمد وفرعها الأئمة وأغصانها ذريتهم وثمارها العلم، فهذه الشجرة جمعت كرام الخلق من الأولين والآخرين، فمنهم الأنبياء والأولياء والأوصياء والحجج الأطهار عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الذين اصطفاهم الله عَزَّ وَجَلَّ وطهرهم على سائر خلقه، وقد اعتمدت في الأصل على خطب أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ التي ذكر فيها هذه الشجرة المباركة.

والغاية من هذا البحث بيان عظيم قدر هذه الشجرة من حيث النسل

السامي وما حوته من علوم ومعارف وعلو قدر، فمن الواجب معرفة هذه السلالة الطاهرة ومعرفة آبائه (صلوات الله وسلامه عليه) كي ننزههم عن كل عيب وعن كل ما لا يليق بهم، بوصفهم سادات الكون، فمن المحال أن يضع سبحانه خاتم رسله وسيد خلقه في صلب كافر أو فاجر وحاشا لمثل محمد ﷺ أن يكون في مستقر غير طاهر، بل العكس من ذلك فقد وضعه الله ﷻ في أشرف الأصلاب والأرحام وأطهرها، كذلك أهل بيته ﷺ فمن خلال هذا البحث سنبين ذلك إن شاء الله.

وقد قسم الكتاب على ثلاثة فصول تسبقها مقدمة وتمهيد حيث بيّنا في المقدمة أقسام الشجرة ومن ثم بيّنا أهمية هذا البحث وقد تلاها تمهيد حول مفهوم الشجرة في اللغة والقرآن والسنة المطهرة.

أما الفصل الأول: تناولنا فيه طهارة أصل الشجرة وما حوت هذه الشجرة من كرام الخلق، وفي الفصل الثاني: بيّنا سبب تفضيله واختياره (صلوات الله وسلامه عليه) من تلك الشجرة المباركة، أما الفصل الثالث: فقد بيّنا فيه أغصان هذه الشجرة وثمارها، ومن ثم ختمنا بخاتمة إذ بيّنا فيها أبرز النتائج التي توصل إليها البحث.

فنسأل الله أن نكون قد وفقنا في خدمة سيد الرسل وتلك السلالة الطاهرة.

الباحث

تهيد

تمهيد: (مفهوم الشجرة)

أولاً: الشجرة في اللغة:

جاء للفظ الشجرة في اللغة معاني عدة منها حقيقي والآخر مجازي سندكرها مثلما وردت في المعاجم اللغوية:

فالشجرة: مفرد الشجر، (وهي لا تخلو من ارتفاع وتداخل أغصان، وواد شجر كثير الشجر ويقال هذه الأرض أشجر من غيرها أي أكثر شجراً) (١)، وتجمع على (الشَّجَرَاتِ والأشجارِ، والمُجْتَمِعُ الكثيرُ منه في مَنْبِتِهِ: شَجَرَاءُ، الشَّجَرُ والشَّجَرُ من النبات: ما قام على ساق؛ وقيل: الشَّجَرُ كل ما سما بنفسه) (٢)، والشجر كل نبت له ساق قال الله تعالى:

﴿وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ يَسْجُدَانِ﴾ (٣).

ومن المجاز: (هو من شجرة النبوة، ومن شجرة طيبة، وما أحسن شجرة

(١) أساس البلاغة، الزمخشري، ص ٤٧٩.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج ٤، ص ٣٩٤ - ٣٩٥.

(٣) الرحمن: ٦.

ضرعها أي شكله وهيئته^(١)، ويقال: (فلان من شجرة مباركة أي من أصل مبارك)^(٢).

والشجرة هي الأصل الذي يعود إليه الإنسان، وتشمل جميع آبائه، وأبنائه، وهي من باب التشبيه بالشجرة النبات لتفرعها من أصل واحد إلى أغصان وأوراق وثمار.

ثانياً: الشجرة في القرآن:

ورد في القرآن الكريم لفظ الشجرة ومن المواضع التي ورد فيها قوله تعالى:

﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾^(٣).

الشجرة المباركة: إبراهيم^(٤)، وكل شيء يتألاً فهو يقْدُ^(٥). ولعل سبب تسميتها بالمباركة لأنه تعالى بارك فيها من حيث النسل، كذلك بارك في ثمارها، والمقصود بالثمار العلم الذي هو سبيل الهداية.

جاء في تفسير علي بن ابراهيم القمي، عن صالح بن سهل الهمداني قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في قول الله تعالى:

﴿.. يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ يكاد العلم يتفجر منها ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾، إمام منها بعد إمام ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ يهدي الله عز وجل للأئمة من يشاء ان يدخله في نور ولايتهم مخلصاً ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ

(١) أساس البلاغة، الزمخشري، ص ٤٧٩.

(٢) لسان العرب، ابن منظور ج ٤ ص ٣٩٨.

(٣) النور: ٣٥.

(٤) خصائص الوحي، ابن بطريق، ص ١٥١.

(٥) لسان العرب، ابن منظور، ج ٣، ص ٤٦٦.

وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١﴾ .

فمن نسل إبراهيم عليه السلام هذه الذرية الطاهرة التي حوت أعظم الرجال والنساء، فكان منهم خاتم الرسل وسيد الخلق من الأولين والآخرين.
وقوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ
وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ
الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ (٢).

جاء في تفسير العياشي، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام في قول الله تعالى:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي
السَّمَاءِ﴾، قال يعني النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من بعده هم الأصل الثابت، والفرع
الولاية لمن دخل فيها) (٣).

وكذلك فإن الشجرة الطيبة لها أساس طيب إذ أن طينتها خصبة طاهرة
وجذورها قوية ثابتة، كذلك الأنبياء والأوصياء أصلهم قوي وطيب والطيب
لا يخرج منه إلا الطيب، قال تعالى:

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ (٤).

(١) تفسير القمي، علي بن ابراهيم القمي، ج ٢، ص ١٠٣.

(٢) ابراهيم: ٢٤ - ٢٦.

(٣) تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٢٤.

(٤) الأعراف: ٥٨.

وعكسها الشجرة الخبيثة التي لا أساس لها فمثل هذه ليس فيها فائدة ولا ثمر، لذا شبه سبحانه بني امية بهذه الشجرة، قال تعالى:

﴿وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾^(١).

وسئل أبو جعفر عن قول الله تعالى: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾، الآية قال: الشجر رسول الله ﷺ، ونسبه ثابت في بني هاشم وفرع الشجرة علي بن أبي طالب وغصن الشجرة فاطمة عليها السلام، وثمرتها الأئمة من ولد علي وفاطمة عليهما السلام والأئمة من أولادها أغصانها، وشيعتها ورقها، وان المؤمن من شيعتنا ليموت فتسقط من الشجرة ورقة، وان المؤمن ليولد فتورق الشجرة، قلت: رأيت قوله: «تؤتي اكلها كل حين بإذن ربها»؟ قال: يعني بذلك ما يفتون به الأئمة شيعتهم في كل حج وعمرة من الحلال والحرام ثم ضرب الله عز وجل لأعداء آل محمد عليهم السلام فقال:

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾^(٢).

جاء في التفاسير إن الشجرة الخبيثة كل شجرة لا يطيب ثمرها^(٣) كشجرة الحنظل والكشوث^(٤) وعن الباقر عليه السلام: (بنو أمية)^(٥).

(١) الأعراف: ٥٨.

(٢) تفسير القمي، ج ١، ص ٣٦٩.

(٣) ينظر: تفسير جوامع الجامع، الشيخ الطبرسي، ج ٢، ص ٢٨٢.

(٤) الكشوث نبت يتعلّق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض، قال الشاعر:

هو الكشوثُ فلا أصلٌ ولا ورقٌ ولا نسيماً ولا ظلٌ ولا ثمرٌ

(لسان العرب، ج ٢، ص ١٨١).

(٥) تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي، ج ٢، ص ٥٣٨.

وقوله تعالى:

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ مَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾^(١).

قال علي بن إبراهيم في قوله:

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾، قال نزلت لما رأى النبي في نومه كأن قرودا تصعد منبره فسأه ذلك وغمه غما شديدا فأنزل الله تعالى:

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾، كذا نزلت وهم بنو أمية^(٢).

وقد وصف سبحانه نبيه بالشجرة لما للشجرة من فوائد ومن فوائدها:

أولاً: إنها تفيء للناس وتظلهم من حرارة الشمس، أي انها مأوى لهم، ورسول الله ﷺ، كان مأوىً للسائل والمحروم لذا شبه بالشجرة.

ثانياً: فيها غذاء وهذا الغذاء فيه فائدة جسدية وفائدة روحية، كذلك رسول الله ﷺ كان كالشجرة المثمرة، وعلي بن ابي طالب عليه السلام أكثر إنسان أخذ من هذه الشجرة لذا صار كنفسه، ومن خطبة له عليه السلام قال فيها:

«وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْتُمُنِي فِي فِرَاشِهِ وَيُمْسِنِي جَسَدَهُ، وَيُسَمِّنِي عَرَفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ»^(٣).

(١) الإسراء: ٦٠.

(٢) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، ج ٢، ص ٢١.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة: ١٩٢، المعروفة بالقاصعة، تـ (صبحي الصالح).

وهذه اللقمة التي كان يلقمه إياها فيها غذاء مادي وغذاء معنوي، فمن فوائدها المعنوية علمه وما خصه رسول الله من حكمة وبلاغة وفهم وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

«هذا ما زقني رسول الله صلى الله عليه وآله زقا زقا»^(١)، اما الفائدة المادية فكان علي فحل

الفحول وهو قالع تلك الباب وقاصم شوكة الجبارين بقوته التي عرف بها. ثالثاً: فيها شفاء من الداء، وكما أن الشجرة فيها غذاء ودواء وفيها خيرات كثيرة كذلك النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كان عنده علاج لجميع الأقسام المادية والمعنوية، وقد تعلم أمير المؤمنين منه هذه العلوم حتى صار باب علم رسول الله صلى الله عليه وآله، فمن خطبة له عليه السلام قال فيها:

«طَيْبٌ دَوَارٌ بَطْبُهُ قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ، وَأَخْمَى مَوَاسِمَهُ يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، مِنْ قُلُوبٍ عُمِيٍّ وَأَذَانٍ صُمٍّ، وَاللِّسَانِ بُكْمٍ، مُتَّبِعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ، وَمَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَةِ، وَلَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ الثَّقَايَةِ»^(٢).

فكان عليه السلام يدور بين الناس ويقول سلوني قبل ان تفقدوني.

رابعاً: كل شجرة مثمرة وطيبة تسر الناظر، فالنبي كهذه الشجرة العظيمة فكل من نظر إليه زاد حباً به لما له من وصف جميل وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول لم أر مثله ولا بعده، وكان البدوي يرى وجهه الكريم فيقول: والله ما هذا وجه كذاب^(٣).

(١) الأمايلي، الشيخ الصدوق، ص ٤٢٢.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٠٨.

(٣) ينظر مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ١، ص ١٠٧.

ثالثاً: الشجرة في السنة.

وردت لفظة الشجرة في السنة المطهرة ومنها:

عن جابر بن عبد الله (رضوان الله عليه) قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي عليه السلام):

«يا علي الناس من شجر شتى وأنا وأنت من شجرة واحدة»، ثم قرأ رسول الله ﷺ:

﴿وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾ (١)، (٢).

قال علي بن ابراهيم: ..الصنوان الفتالة التي نبتت من أصل الشجرة (وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فمنه حلو ومنه حامض ومنه مر يسقى بماء واحد) (٣).

فمن أسس على الطهر لا يستوي مع من أسس على النجاسة فشتان ما بين الأثنين، قال رسول الله ﷺ:

(يا علي، خلق الله الناس من أشجار شتى، وخلقني وأنت من شجرة واحدة، أنا أصلها وأنت فرعها، فطوبى لعبد تمسك بأصلها، وأكل من فرعها) (٤).

ومعنى أكل من فرعها، أي: أخذ، والأخذ يراد به العلم، فهذه الشجرة

(١) الرعد: ٤.

(٢) المستدرک، الحاكم النيسابوري، ج٢، ص٢٤١.

(٣) تفسير القمي، ج١، ص٣٥٩.

(٤) الأماي، الشيخ الطوسي، ص٦١٠.

فيها غذاء مادي ومعنوي فطوبى لمن أكل منها، وطوبى لمن تمسك بغصن من اغصانها.

قال رسول الله ﷺ:

«يا علي خلق الناس من شجر شتى، وخلقت أنا وأنت من شجرة واحدة، أنا أصلها وأنت فرعها والحسن والحسين أغصانها، وشيعتنا أوراقها، فمن تعلق بغصن من أغصانها أدخله الله الجنة»^(١).

ومعنى قوله (فمن تعلق بغصن من أغصانها) المراد بالأغصان الحجج الأظهار من ذرية فاطمة (عليها وعليهم السلام)، فكل زمان وفيه حجة فمن تمسك بحجة زمانه نجا وهذا تصريح من نبي الرحمة.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«وَإِنِّي لَعَلَى بَيْتَةِ مِنْ رَبِّي، وَمِنْهَا جِ مِنْ نَبِيِّ، وَإِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الْقُطْبَةَ لَقُطًّا، انظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالزَّمُوا سَمْتَهُمْ، وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى، وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى، فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا، وَإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا، وَلَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضَلُّوا، وَلَا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا»^(٢).

وعن النبي ﷺ قال:

«إن الله خلق الأنبياء من أشجار شتى وخلقت أنا وعلي من شجرة واحدة فأنا أصلها وعلي فرعها وفاطمة لقاحها والحسن والحسين (عليهما السلام) ثمارها وأشياعنا أوراقها فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا ومن زاغ هوى ولو أن عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام ثم ألف عام ثم ألف عام حتى يصير كالشن البالي ثم

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، الشيخ الصدوق، ج ٢، ص ٧٨.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٧.

لم يدرك محبتنا أكبه الله على منخريه ثم تلا قل لا أسئلكم...»^(١).

فهذا القول واضح في أن محبي أهل بيت النبي هم الناجون فقط، أما مبغضهم فلو صلى الدهر وعبد طوال حياته لم ينل رضا الله.

وعن رسول الله ﷺ يقول:

«خلقت من نور الله عز وجل، وخلق أهل بيتي من نوري، وخلق محبوبهم من نورهم، وسائر الخلق في النار»^(٢).

من خلال استعراضنا لهذه الأحاديث الشريفة التي تتحدث عن هذه الشجرة يتوضح لنا أن النبي محمد ﷺ يتحدث تارة عن طهر هذه الشجرة من حيث المنبت والمغرس أي طهارة الأصلاب والأرحام، ويتحدث تارة عن أنها شجرة تحوي العلوم والمعارف، فثمار هذه الشجرة هي علوم آل البيت ﷺ التي ورثوها عن الحبيب المصطفى ﷺ.

(١) تفسير الصافي، ج ٤، ص ٣٧٣.

(٢) الأماي، الشيخ الطوسي، ص ٦٥٥.

الفصل الأول

طهارة أصل الشجرة

الفصل الأول (طهارة أصل الشجرة)

قوله عليه السلام: «مُسْتَقَرُّهُ خَيْرٌ مُسْتَقَرٍّ، وَمَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ، فِي مَعَادِنِ الْكِرَامَةِ، وَمَا هِدِ السَّلَامَةِ» (١).

المبحث الأول

(مستقره ومنبته (صلوات الله وسلامه عليه))

تعددت وجهات النظر بين الشراح في مستقره (صلوات الله وسلامه عليه)، كما تعددت وجهات النظر عند اللغويين، فمنهم من قال أن المراد بمستقره مكة ومنهم من قال المدينة ومنهم من قال مستقره في الأصلاب والأرحام وقد ذهب البعض إلى أن مستقره مدفنه (صلوات الله وسلامه عليه)، أو مستقره عند الله سبحانه في الجنان، ونستطيع أن نجتمع هذه الآراء ونقول لعل الإمام عليه السلام أراد بمستقره في جميع العوالم.

وهنا لا بد من الإشارة لما جاءت به اللغة:

جاء في لسان العرب (مَقَرُّ الرَّحْمِ: آخِرُهَا، وَمُسْتَقَرُّ الْحَمْلِ مِنْهُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾؛ أَي فَلَكُمْ فِي الْأَرْحَامِ مُسْتَقَرٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَصْلَابِ

مُسْتَوْدَعٌ، وَقُرِئَ:

(١) نهج البلاغة، من الخطبة: ٩٦، ص ١٤١.

﴿فمستقرٌّ ومُستودَعٌ﴾؛ أي مستقرٌّ في الرحم، وقيل: مستقرٌّ في الدنيا موجود، ومستودَعٌ في الأصلاب لم يخلق بعد؛ وقال الليث: المستقر ما ولد من الخلق وظهر على الأرض، والمستودَع ما في الأرحام، وقيل: مستقرّها في الأصلاب ومستودعها في الأرحام، وقيل: مُستَقِرٌّ في الأحياء ومستودَع في الثرى^(١).

أما المنبت فقد جاء في اللغة: (من مصدر (نبت)، النون والباء والتاء أصل واحد يدل على نماء في مزروع ثم يستعار، فالنبت معروف يقال نبت، وأنبتت الأرض، ونبت الشجر غرسته، ويقال إن في بني فلان لنابته شر، ونبت لبني فلان نابته إذا نشأ لهم نشء صغار من الولد، والنبيت حي من اليمن، وما أحسن نبتة هذا الشجر، وهو في منبت صدق أي أصل كريم^(٢).

فمن خلال المعنى اللغوي نفهم إن المراد بالمستقر الأصلاب والأرحام الطاهرة، ويمكن أن يراد بالمستقر في القبر، أو عند الله في الآخرة. أما المنبت: يراد به الأصل والنشأة.

المسألة الأولى

(مستقره في عالم الأرواح)

قال الشيخ المحمودي: ((المقر) على صيغة المفعول، و(خير مستقر) المراد به إما عالم الأرواح أو الأصلاب الطاهرة أو أعلى عليين بعد الوفاة^(٣).

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ٥، ص ٨٧.

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ابن فارس)، ج ٥، ص ٣٧٨.

(٣) نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة، الشيخ المحمودي، ج ٢، هامش ص ١٥.

ففي عالم الأرواح كان (صلوات الله وسلامه عليه) في أعلى عليين حيث مستقره في أظلة العرش يسبح الله ويقدهه وقد حدث رسول الله ﷺ عن ذلك في الكثير من الروايات، قال رسول الله ﷺ:

(أول ما خلق الله نوري ابتدعه من نوره واشتقه من جلال عظمته، فأقبل يطوف بالقدرة حتى وصل إلى جلال العظمة في ثمانين ألف سنة، ثم سجد لله تعظيماً ففتق منه نور علي عليه السلام فكان نوري محيطاً بالعظمة ونور علي محيطاً بالقدرة، ثم خلق العرش واللوح والشمس وضوء النهار ونور الأبصار والعقل والمعرفة وأبصار العباد وأسماعهم وقلوبهم من نوري ونوري مشتق من نوره، فنحن الأولون ونحن الآخرون ونحن السابقون ونحن المسبوحون ونحن الشافعون ونحن كلمة الله، ونحن خاصة الله، ونحن أحبباء الله، ونحن وجه الله، ونحن جنب الله ونحن يمين الله ونحن أمناء الله، ونحن خزنة وحي الله وسدنة غيب الله ونحن معدن التنزيل ومعنى التأويل، وفي أبياتنا هبط جبرئيل، ونحن محال قدس الله، ونحن مصابيح الحكمة ونحن مفاتيح الرحمة ونحن ينباع النعمة ونحن شرف الأمة، ونحن سادة الأئمة ونحن نواميس العصر وأحبار الدهر ونحن سادة لعباد ونحن ساسة البلاد ونحن الكفاة والولاية والحماة والسقاة والرعاة وطريق النجاة، ونحن السبيل والسلسيل، ونحن النهج القويم والطريق المستقيم، من آمن بنا آمن بالله، ومن رد علينا رد على الله، ومن شك فينا شك في الله، ومن عرفنا عرف الله، ومن تولى عنا تولى عن الله، ومن أطاعنا أطاع الله، ونحن الوسيلة إلى الله والوصلة إلى رضوان الله، ولنا العصمة والخلافة والهداية، وفينا النبوة والولاية والإمامة، ونحن معدن الحكمة وباب الرحمة وشجرة العصمة، ونحن كلمة التقوى والمثل الأعلى والحجة العظمى

والعروة الوثقى التي من تمسك بها نجا»^(١).

فلعظمة هذا النبي خلق الله روحه قبل أن يخلق آدم والملائكة والسموات والأرضين، وكل هذا يبرهن على قداسة هذه الروح، ولصفائها وطاعتها وامثالها لله صارت هذه الروح من أقدس الموجودات ثم خلق الله من نور النبي كل خير.

عن جابر بن عبد الله قال: قلت لرسول الله ﷺ:

«أول شيء خلق الله تعالى ما هو؟ فقال: نور نبيك يا جابر، خلقه الله ثم خلق منه كل خير»^(٢).

فمنذ النشأة الأولى كان النبي مصدر الأنوار وأساس كل خير، ومن نوره خلق الله العرش والكرسي والقلم ومن خلال النبي علم سبحانه ملائكته التسبيح والتهليل، فمنذ ذلك العالم ورسول الله ﷺ هو القدوة والأسوة للعباد. وفي رواية قال رسول الله ﷺ لأمر المؤمنين ﷺ:

«... يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار، ولا السماء ولا الأرض، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة، وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه، لأن أول ما خلق الله خلق أرواحنا فانطقنا بتوحيده وتحميده، ثم خلق الملائكة فلما شاهدوا أرواحنا نورا واحدا استعظموا أمرنا فسبحنا لتعلم الملائكة إنا خلق مخلوقون، وانه منزه عن صفاتنا، فسبحت الملائكة بتسبيحنا ونزهته عن صفاتنا...»^(٣).

(١) بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٢٢.

(٢) بحار الأنوار، ج ١٥، ص ٢٤.

(٣) علل الشرائع، ج ١، ص ٥.

وإن من أوصلهم إلى هذه المكانة والقربى من الله هي المعرفة به سبحانه، وتوضح الرواية السابقة انهم مذ أن خلقوا كانوا يسبحون الله ويقدمونه وهذا ما ميزهم عن سائر الخلق فهم معصومون منذ النشأة الأولى.

والله سبحانه وتعالى حينما ابتدأ بخلق محمد ﷺ وعترته ﷺ دليل على انهم سادات الخلائق مذ كانوا نورا، ولقداسة هذه الأرواح وعظيم مكانتها عنده سبحانه جعلها في أعلى عليين، ثم أودعها في أصلاب شامخة وأرحام مطهرة.

عن قبيصة بن يزيد الجعفي قال: (دخلت على الصادق ﷺ وعنده ابن زبيران والقاسم الصيرفي، فسلمت وجلست وقلت: يا بن رسول الله أين كنتم قبل أن يخلق الله سماء مبنية، وأرضا مدحية أو ظلمة أو نورا قال:

«كنا أشباح نور حول العرش، نسبح الله قبل أن يخلق آدم ﷺ بخمسة عشر ألف عام، فلما خلق الله آدم ﷺ فرغنا في صلبه، فلم يزل ينقلنا من صلب طاهر إلى رحم مطهر حتى بعث الله محمدا ﷺ الخبر» (١).

ومن الأدلة الواضحة التي تبين أنه خلق من نور عظمة الله وصوله إلى قاب قوسين بل أدنى، وقد قال له جبرائيل حين وصولهم إلى سدرة المنتهى: (تقدم يا رسول الله ليس لي أجوز هذا المكان ولو دنوت أنملة لاحتقرت) (٢).

فلولا انه مخلوق من نور العظمة لما جاز له التقدم وهذا الحديث يبين لنا قربه ومكانته عند الله، قال الإمام الصادق ﷺ:

(.. وكان بالمكان الذي قال له جبرئيل ﷺ لما أسرى به إلى السماء: «تقدم يا محمد فقد وطئت موطنًا لم يطأه (أحد قبلك) لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل»

(١) بحار الأنوار، ج ١٥، ص ٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ١٥٥.

ولولا أن روحه ونفسه كانت من ذلك المكان لما قدر أن يبلغه، فكان من الله عز وجل،
كما قال الله:

﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (١) (٢).

المسألة الثانية

(عالم الطينة)

قوله ﷺ:

«أخرجه من أفضل المعادن منبتاً، وأعزُّ الأرومات مغرساً من الشجرة التي
صدع منها أنبياءه، وانتجب منها أمناه» (٣).

قال الشارح البحراني: (استعار لفظ المعدن والمغرس والمنبت: لطينة النبوة
وهي مادته القريبة التي استعدت لقبول مثله) (٤).

فالطينة هي الأصل الذي خلق منها الإنسان ومن طابت روحه طابت طينته،
ومن فسدت روحه فسدت طينته، وبما إن أرواح الأنبياء والحجج والأولياء
والصديقين والمؤمنين أطيب الأرواح لذا اختار لهم سبحانه هذه الطينة الطيبة
الطاهرة.

ومن المؤكد إن طينة الأنبياء والحجج هي الأصل ومن ثم يخلق الله من تلك
الطينة بقية الصالحين.

قال أبو عبد الله ﷺ:

(١) النجم: ٩.

(٢) مدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني، ج ١، ص ٥٩.

(٣) نهج البلاغة، من الخطبة: ٩٤، ص ١٣٩.

(٤) اختيار مصباح السالكين، ابن ميثم البحراني، ص ٢٣٥.

«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْمُؤْمِنَ مِنْ طِينَةِ الْجَنَّةِ وَخَلَقَ الْكَافِرَ مِنْ طِينَةِ النَّارِ وَقَالَ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدَ خَيْرٍ طَيِّبَ رُوحَهُ وَجَسَدَهُ فَلَا يَسْمَعُ شَيْئًا مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا عَرَفَهُ وَلَا يَسْمَعُ شَيْئًا مِنَ الْمُنْكَرِ إِلَّا أَنْكَرَهُ قَالَ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: الطِّينَاتُ ثَلَاثٌ طِينَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِ مِنْ تِلْكَ الطِّينَةِ إِلَّا أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ هُمْ مِنْ صَفْوَتِهَا هُمُ الْأَصْلُ وَهُمْ فَضْلُهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ الْفَرْعُ مِنْ طِينٍ لَا زَبٍ كَذَلِكَ لَا يُفَرِّقُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنَهُمْ وَيَبْنِ شِعْبَتَهُمْ وَقَالَ طِينَةُ النَّاصِبِ مِنْ حَمِّ مَسْنُونٍ وَأَمَّا الْمُسْتَضْعَفُونَ فَمِنْ تَرَابٍ لَا يَتَحَوَّلُ مُؤْمِنٌ عَنْ إِيْمَانِهِ وَلَا نَاصِبٌ عَنْ نَصْبِهِ وَلِلَّهِ الْمُسَيِّئَةُ فِيهِمْ» (١).

وكان أول من خلقه الله من الخلق هو النبي الأكرم ﷺ، قال رسول الله ﷺ:

«كنت أول الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثاً» (٢)، فلعظيم منزلته عند الله خلقه سبحانه قبل الوجود، كي لا يسبقه بالفضل أحد من البشر.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

(... إن الله تبارك وتعالى لما أراد أن يخلق آدم خلق تلك الطينتين، ثم فرقهما فرقتين، فقال لأصحاب اليمين كونوا خلقاً بإذني، فكانوا خلقاً بمنزلة الذر يسعى، وقال لأهل الشمال: كونوا خلقاً بإذني، فكانوا خلقاً بمنزلة الذر، يدرج، ثم رفع لهم ناراً فقال: ادخلوها بإذني، فكان أول من دخلها محمد ﷺ ثم اتبعه أولو العزم من الرسل وأوصياؤهم وأتباعهم، ثم قال لأصحاب الشمال: ادخلوها بإذني، فقالوا: ربنا خلقتنا لتحرقتنا؟ فعصوا، فقال لأصحاب اليمين اخرجوا بإذني من النار، لم تكلم النار منهم كلمة، ولم تؤثر فيهم أثراً، فلما رأهم

(١) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، العلامة المجلسي، ج ٧، ص ٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد، الصالحى الشامى، ج ١، ص ٦٨.

أصحاب الشمال، قالوا: ربنا نرى أصحابنا قد سلموا فأقلنا ومرنا بالدخول، قال: قد أقلتكم فادخلوها، فلما دنوا وأصابهم الوهج رجعوا فقالوا: يا ربنا لا صبر لنا على الاحتراق فعصوا، فأمرهم بالدخول ثلاثاً، كل ذلك يعصون ويرجعون وأمر أولئك ثلاثاً، كل ذلك يطيعون ويخرجون، فقال لهم: كونوا طينا بإذني فخلق منه آدم، قال: فمن كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء ومن كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء..^(١).

نفهم من الرواية السابقة إن من خلال الطاعة والامتثال لله سبحانه صار خلق الإنسان، فمن حسنت نيته خلقه الله من طينة الجنة، ومن فسدت نيته خلقه الله من طينة النار، ومن ثم يرجع كل مخلوق إلى أصله، وكون رسول الله ﷺ السباق بالتلبية لله الواحد صار خلقه مختلفاً، كذلك أهل بيته ومن سار على هداهم.

عن الأصبغ بن نباتة (إن أمير المؤمنين ﷺ صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

يا أيها الناس إن شيعتنا من طينة مخزونة قبل أن يخلق الله آدم بألفي عام، لا يشذ منها شاذ، ولا يدخل فيها داخل وإني لأعرفهم حين أنظر إليهم لأن رسول الله ﷺ لما تفل في عيني وكنت أرمد قال: اللهم أذهب عنه الحر والبرد وبصره صديقه من عدوه فلم يصبني رمد ولا حر ولا برد، وإني لأعرف صديقي من عدوي، فقام رجل من الملاء فسلم، ثم قال: والله يا أمير المؤمنين إني لأدين الله بولايتك، وإني لأحبك في السر كما أظهر لك في العلانية، فقال له علي ﷺ: كذبت فوالله ما أعرف اسمك في الأسماء ولا وجهك في الوجوه، وإن طينتك لمن غير

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ١١.

تلك الطينة، فجلس الرجل قد فضحه الله وأظهر عليه، ثم قام آخر فقال: يا أمير المؤمنين إني لأدين الله بولايتك وإني لأحبك في السر كما أحبك في العلانية، فقال له: صدقت طينتك من تلك الطينة وعلى ولايتنا أخذ ميثاقك وإن روحك من أرواح المؤمنين ..»^(١).

فحب علي ليس بكلام وإنما حقيقة تكمن بالقلب كالإيمان فكل من قال إن الإيمان كلام هو خطأ؛ كذلك حب الإمام؛ لذا يقول عليه السلام:

«لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ بِسَيْفِي هَذَا، عَلَى أَنْ يُبْغِضَنِي مَا أَبْغَضَنِي وَلَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيَا بِجَمَاتِهَا عَلَى الْمُنَافِقِ، عَلَى أَنْ يُحِبَّنِي مَا أَحَبَّنِي، وَذَلِكَ أَنَّهُ قُضِيَ فَأَنْقَضَى عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ يَا عَلِيُّ لَا يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ وَلَا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ»^(٢)، فمن جبل على محبته عليه السلام لا يقدر على بغضه إذ أن طينته طاهرة مطهرة.

المسألة الثالثة

(عالم الأصلاب والأرحام)

قبل ان يخلقنا الله بهذه الخلقة جعل مستقرنا في اصلاب الآباء وأرحام الأمهات قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾^(٣).

قال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: (المراد بالمستقر والمنبت الأرحام المطهرة للأمهات والأصلاب الموحدة والمؤمنة للآباء؛ الأمر الذي ورد في زيارة

(١) الإختصاص، الشيخ المفيد، ص ٣١٠ ٣١١.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة: ٤٥، ت صبحي الصالح.

(٣) الأنعام: ٩٨.

المعصومين عليهم السلام، ومنها زيارة الإمام الحسين عليه السلام المعروفة بزيارة وارث:

«أشهد أنك كنت نورا في الاصلاب الشاخنة، والأرحام المطهرة»^(١).

إن الله سبحانه وتعالى طهرهم من جميع العيوب والأرجاس والأدناس، فكل آباءه (صلوات الله وسلامه عليهم) كانوا طاهرين، فلم يضع سبحانه نور نبيه عليه السلام إلا في الأصلاب الشاخنة والأرحام المطهرة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لم يزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات، حتى أخرجني في عالمكم، ولم يدنسني بدنس الجاهلية»^(٢).

ومن خطبة له عليه السلام قال فيها:

«وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَسَيِّدُ عِبَادِهِ، كَلَّمَا نَسَخَ اللَّهُ الْخُلُقَ فِرْقَتَيْنِ جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا، لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ وَلَا ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ»^(٣).

قال الشارح البحراني في قوله عليه السلام:

«لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ وَلَا ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ»، أي: لم يضرب فيه العاهر بسهم ولم يكن للفجور في أصله شركة، يقال: ضرب في كذا بنصيب إذا كان له فيه شرك، وهو إشارة إلى طهارته من قبل أصله عن الزنا كما روي عنه عليه السلام لم يزل ينقلني الله تعالى من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات، وقال عليه السلام: لما خلق الله آدم أودع نوري في جبينه فما زال ينقله من الآباء الأخيار إلى الأمهات الطواهر حتى انتهى إلى عبد المطلب، وقال عليه السلام:

(١) نفحات الولاية، ج ٤، ص ١٧٩.

(٢) بحار الأنوار، ج ١٥، ص ١١٧.

(٣) نهج البلاغة: ٢١٤.

«ولدت من نكاح لا من سفاح»^(١).

وقال رسول الله ﷺ:

«أنا ابن العواتك من قريش»^(٢).

عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه قال: (كتبت للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان من أمر الجاهلية)^(٣).

وجاء في أحد خطبه عليه السلام واصفا فيها طهر هذه السلالة:

«فَأَسْتَوْدَعُهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ، وَأَقْرَهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ، تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ الْأَصْلَابِ إِلَى مُطَهَّرَاتِ الْأَرْحَامِ، كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلْفٌ، قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ اللَّهِ خَلْفٌ»^(٤).

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني، ج ٤، ص ٣٢.

(٢) قال المحقق البحراني في كتاب الحدائق الناظرة، ج ٢٢، ص ٣٥٧، (أنا ابن العواتك « هو جمع عاتكة وهي المرأة المجرمة بالطيب، وكان هذا الاسم لثلاث نسوة من أمهاته ﷺ إحداهن عاتكة بنت هلال أم عبد مناف بن قصي، والثانية عاتكة بنت مرة بن هلال أم هاشم بن عبد مناف، والثالثة عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال أم وهب أبي أمينة أم النبي ﷺ فالأولى من العواتك عمه الثانية، والثانية عمه الثالثة، قيل: وبنوا سليم كانوا يفتخرون بهذه الولادة، وقيل العواتك في جدات النبي ﷺ تسع ثلاث من بني سليم، وهن المذكورات، والبواقي من غيرهم.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج ١، ص ٦٠، وعن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي بن الحسين أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال «إنما خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم لم يصبني من سفاح أهل الجاهلية شيء لم أخرج إلا من طهره»، المصدر نفسه، ص ٦١.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٤.

معنى تَنَاسَخَتْهُمْ أي تناقلتهم^(١)، فلم يزل سبحانه ينقل نبيه بين كرائم الأصلاب إلى مطهرات الأرحام حتى قذفه في صلب عبد الله، ثم استقر في رحم امنة بنت وهب وبلا شك أن هذه السيدة كانت ذات حياء وعفة وجمال خلقي وخلقها لذا صارت وعاء لهذا السيد الهاشمي كي يرث من هذا البيت الطاهر جميع الكمالات الهاشمية.

جاء في الصحيح من سيرة الامام ما روي عن ابن عباس، وأبي جعفر، وأبي عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾، قال: يرى تقلبه في أصلاب النبيين من نبي إلى نبي حتى أخرجه من صلب أبيه، من نكاح غير سفاح من لدن آدم عليه السلام.

وقال المجلسي عن آباء النبي عليه السلام: (بل كانوا من الصديقين، إما أنبياء مرسلين، أو أوصياء معصومين)^(٢).

وكان سبحانه قبل أن ينقل نور نبيه عليه السلام في أصلاب الطاهرين يأخذ عليهم الميثاق بأن لا يضعوا هذا النور إلا في أطهر الأرحام^(٣)، لأن الرسالة السماوية

(١) ينظر، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الخوئي الهاشمي، ج٧، ص١٠٧.

(٢) الصحيح من سيرة الامام علي - ج٦ ص١٨ - ١٩.

(٣) راجع كتاب بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج١٥، ص٢٤.

قال: أبو الحسن البكري: حدثنا أشياخنا وأسلافنا الرواة لهذا الحديث أنه لما تزوج هاشم بن عبد مناف بسلمى بنت عمرو النجارية ودخل بها حملت بعبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وآله، وانتقل النور الذي كان في وجهه إلى سلمى زادها حسنا «وجملا وبهجة وكمالا حتى شاع حسنهما في الآفاق، وكان يناديها الشجر والحجر والمدر بالتحية والاكرام، وتسمع قائلا يقول عن يمينها: السلام عليك يا خير البشر، ولم تزل تحدث بها ترى حتى حذرها هاشم فكانت تكتم أمرها عن قومها حتى إذا كان ذات ليلة سمعت قائلا يقول:

تحتاج إلى بيوتات طاهرة كي لا يعابوا بنسبهم، فالمعرضون يتربصون بالأنبياء والأولياء فمجرد أن يجدوا فرصة للطعن يشهروا بها وخير دليل على ما نقول ما حدث للسيدة مريم عليها السلام حينما جاءتهم بعيسى فقد عيروها في بادئ الأمر ولكن سرعان ما تكلم النبي عيسى عليه السلام فأثبت صدق دعواها وبرئتها مما يقولون، ف سبحانه وتعالى أنبتها في نبات حسن وجعلها في أطهر الأضلاب كذلك النبي وسائر الرسل (صلوات الله عليهم أجمعين)، فكلهم يعودون إلى أصل واحد، قال تعالى:

﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ (١).

كذلك جعل محبيهم من أطهر البيوت وجعل أعداءهم من أدنى البيوت وأقلها شرفا.

روي عن أبي عبد الله عليه السلام:

«إذا كان يوم القيامة دعي الخلائق بأمهاتهم ما خلانا وشيعتنا فإننا لا سفاح بيننا» (٢).

لك البشر إذ أوتيت أكرم من مشى وخير الناس من حضر وبادي

وقال: لما سمعت ذلك لم تدع هاشما « يلامسها بعد ذلك. قال: ثم إن هاشما « أقام في المدينة أياما » حتى اشتهر حمل سلمى ، فقال لها : يا سلمى إني أودعتك الوديعه التي أودعها الله تعالى آدم عليه السلام، وأودعها آدم عليه السلام ، ولدها شيئا « عليه السلام ، ولم يزالوا يتوارثونها من واحد إلى واحد إلى أن وصلت إلينا ، وشرفنا الله بهذا النور ، وقد أودعته إياك ، وها أنا آخذ عليك العهد والميثاق بأن تقيه وتحفظيه ، وإن أتيت به وأنا غائب عنك فليكن عندك بمنزلة الحدقة من العين ، والروح بين الجنين ، وإن قدرت على أن لا تراه العيون فاعلي ، فإن له حسادا «وأضدادا»، وأشد الناس عليه اليهود (بحار الأنوار، ج ١٥، ص ٥١).

(١) آل عمران: ٣٤.

(٢) صفات الشيعة - الشيخ الصدوق - ص ١٦.

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«لا يبغضنا إلا من خبثت ولادته أو حملت به أمه في طمئتها»^(١).

وهذه العناية الربانية لسيد الخلق وأهل بيته دليل كافٍ على طهرهم وأنهم يستحقون هذا اللطف الإلهي، فعن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: (سئل رسول الله صلى الله عليه وآله: أين كنت وآدم في الجنة؟ قال:

«كنت في صلبه، وهبط إلى الأرض وأنا في صلبه، وركبت السفينة في صلب أبي نوح عليه السلام، وقذف بي في النار في صلب أبي إبراهيم، لم يلتق لي أبوان على سفاح قط، لم يزل الله عز وجل ينقلني من الأصلاب الطيبة، إلى الأرحام الطاهرة، هاديا مهديا، حتى أخذ الله بالنبوة عهدي، وبالإسلام ميثاقي، وبين كل شيء من صفتي، وأثبت في التوراة والإنجيل ذكري، ورقى بي إلى سمائه، وشق لي اسما من أسمائه، امتي الحامدون، وذو العرش محمود، وأنا محمد»^(٢).

فسبحانه وتعالى لم يضعه في صلب كافر قط، وفي هذا الخبر تركية لجميع آبائه (صلوات الله وسلامه عليه وعليهم)، وعن أبي جعفر عليه السلام، قال:

(١) جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي، ج ٢، ص ٥٢٨.

(٢) البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، ج ٤، ص ١٩١. قال جابر بن عبد الله الأنصاري: ((.... فقلت: يا رسول الله! هذه حالنا فكيف حالك وحال الأوصياء بعدك في الولادة؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله مليا ثم قال: يا جابر! لقد سألت عن أمر جسيم لا يجتمعه إلا ذو حظ عظيم، إن الأنبياء والأوصياء مخلوقون من نور عظمة الله جل ثناؤه يودع الله أنوارهم أصلابا طيبة وأرحاما طاهرة، يحفظها بملائكته، ويربيها بحكمته، ويغذوها بعلمه، فأمرهم يجل عن أن يوصف، وأحوالهم تدق عن أن تعلم، لأنهم نجوم الله في أرضه، وأعلامه في بريته، وخلفاؤه على عباده، وأنواره في بلاده، وحججه على خلقه، يا جابر! هذا من مكنون العلم ومخزونه، فاكتمه إلا من أهله)).

﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ في النبوة ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾، قال: في أصلاب النبيين^(١).

من خلال هذه الآية نستدل أن آزر لم يكن أباً لإبراهيم الخليل عليه السلام ففي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام نأخذ منها موضع الشاهد تؤكد أن آزر هو عم النبي إبراهيم وليس أباه، قال الإمام الصادق عليه السلام:

«... فالتفت نمرود إلى آزر فقال: ما أكرم ابنك على الله! والعرب تسمي العم أباً، قال تعالى في قصة يعقوب: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾، وإسماعيل كان عم يعقوب وقد سماه أباً في هذه الآية^(٢).

وقال ابن أبي الحديد في قوله عليه السلام:

«فِي مَعَادِنِ الْكِرَامَةِ وَمَكَاهِدِ السَّلَامَةِ»، هاهنا البراءة من العيوب، أي في نسب طاهر غير مأفون ولا معيب^(٣).

وليس سلامتهم من أدناس الشيطان فقط، بل أكملهم الله وجعلهم أفضل خلقه بكل شيء من حيث الصور والطهارة فما أرسل الله نبياً إلا طيب الولادة طاهراً مطهراً مكماً من النواقص ومنزهاً من كل عيب^(٤).

(١) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، ج ٢، ص ١٢٥.

(٢) قصص الأنبياء، قطب الدين الراوندي، ص ١٠٩.

(٣) ينظر، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٦٨.

(٤) ومن دعاء له عليه السلام يوضح فيه طهارة أصل الشجرة ويبين إن نور النبي لا يتقبله الا طاهر مطهر قال عليه السلام (... سبحانك ما أبين اصطفاك لإدريس على من سلك من الحاملين، لقد جعلت له دليلاً من كتابك إذ سميت صديقاً نبياً «ورفعته مكاناً علياً وأنعمت عليه نعمة حرمتها على خلقك

إلا من نقلت إليه نور الهاشميين، وجعلته أول منذر من أنبيائك، ثم أذنت في انتقال محمد ﷺ من القابلين له متوشلخ وملك المفضيين إلى نوح، فأى آلئك يا رب على ذلك لم توله؟ وأي خواص كرامتك لم تعطه؟ ثم أذنت في إيداعه ساما دون حام ويافث، فضرب لهما بسهم في الذلة، وجعلت ما أخرجت من بينها لنسل سام خولا.

ثم تتابع عليه القابلون من حامل إلى حامل، ومودع إلى مستودع من عترته في فترات الدهور حتى قبله تاريخ أظهر الأجسام وأشرف الاجرام، ونقلته منه إلى إبراهيم فأسعدت بذلك جده، وأعظمت به مجده، وقدسته في الأصفياء، وسميته دون رسلك خليلا، ثم خصصت به إساعيل دون ولد إبراهيم، فأنطقت لسانه بالعربية التي فضلتها على سائر اللغات، فلم تزل تنقله محظورا عن الانتقال في كل مقذوف من أب إلى أب حتى قبله كنانة عن مدركة، فأخذت له مجامع الكرامة ومواطن السلامة وأجللت له البلدة التي قضيت فيها مخرجه، فسبحانك لا إله إلا أنت، أي صلب أسكتته فيه لم ترفع ذكره؟ وأي نبي بشر به فلم يتقدم في الأسماء اسمه؟ وأي ساحة من الأرض سلكت به لم تظهر بها قدسه؟ حتى الكعبة التي جعلت منها مخرجه غرست أساسها بياقوتة من جنات عدن، وأمرت الملكين المطهرين: جبرئيل وميكائيل فتوسطا بها أرضك، وسميتها بيتك، واتخذتها معمدا لنبيك، وحرمت وحشها وشجرها وقدسيتها وحجرها ومدرها، وجعلتها مسلكا لوحيك، ومنسكا لخلقك، ومأمن المأكولات وحجابا للاكالات العادية، تحرم على أنفسها إذعار من أجرت، ثم أذنت للنضر في قبوله وإيداعه مالكا، ثم من بعد مالك فهرا، ثم خصصت من ولد فهر غالبا، وجعلت كل من تنقله إليه أمينا حرمك حتى إذا قبله لؤي بن غالب آن له حركة تقديس، فلم تودعه من بعده صلبا إلا جللته نورا تأنس به الابصار وتطمئن إليه القلوب، فأنا يا إلهي وسيدي ومولاي المقر لك بأنك الفرد الذي لا يناع ولا يغالب ولا يشارك « سبحانك لا إله إلا أنت ما لعقل مولود وفهم مفقود مدحق من ظهر مريح نبع من عين مشيح بمحيض لحم وعلق ودر إلى فضالة الحيض وعلاوات الطعم، وشاركته الأسقام والتحقت عليه الآلام، لا يقدر على فعل ولا يمتنع من علة، ضعيف التركيب والبيئة؟ ماله والافتحام على قدرتك، والهجوم على إرادتك، وتفتيش مالا يعلمه غيرك؟ سبحانك أي عين تقوم نصب بهاء نورك، وترقى إلى نور ضياء قدرتك؟ وأي فهم يفهم ما دون ذلك إلا أبصار كشفت عنها الأغطية، وهتكت عنها الحجب العمية فرقت أرواحها إلى أطراف أجنحة الأرواح فناجوك في أركانك، وألحوا بين أنوار بهائك، ونظروا من مرتقى التربة إلى مستوى كبريائك، فسماهم أهل الملكوت زوارا ودعاهم أهل الجبروت عمارا، فسبحانك يا من ليس في البحار

المسألة الرابعة

(عالم الدنيا)

وفي مستقره في عالم الدنيا ثلاثة أقوال:

القول الأول: (مستقره بمكة).

قال ابن ميثم البحراني في مستقره (صلوات الله وسلامه عليه): (أشار بمستقره

قطرات ولا في متون الأرض جنبات ولا في رتاج الرياح حركات ولا في قلوب العباد خطرات ولا في الابصار لمحات ولا على متون السحاب نفحات إلا وهي في قدرتك متحيرات، أما السماء فتخبّر عن عجائبك، وأما الأرض فتدل على مدائحك، وأما الرياح فتنشر فوائذك، وأما السحاب فتعطل مواهبك، وكل ذلك يحدث بتحننك ويخبر أفهام العارفين بشفتك وأنا المقر بما أنزلت على ألسن أصفيائك أن أبانا آدم عند اعتدال نفسه وفراغك من خلقه رفع وجهه فواجهه من عرشك وسم فيه: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فقال: إلهي من المقرون باسمك؟ فقلت: محمد خير من أخرجته من صلبك، واصطفيته بعدك من ولدك، ولولاه ما خلقتك، فسبحانك لك العلم النافذ والقدر الغالب، لم تنزل الآباء تحمله، والأصلاّب تنقله كلمات أنزلته ساحة صلب جعلت له فيها صنعا يحث العقول على طاعته، ويدعوها إلى متابعتة، حتى نقلته إلى هاشم خير آبائه بعد إسماعيل، فأبي أب وجد والجد أسرة ومجتمع عترة ومخرج طهر ومرجع فخر جعلت يا رب هاشما؟ لقد أقمته لدن بيتك، وجعلت له المشاعر والمتاجر، ثم نقلته من هاشم إلى عبد المطلب فأنهجته سبيل إبراهيم، وألهمته رشداً للتأويل وتفصيل الحق، ووهبت له عبد الله وأبا طالب وحزمة، وفديته في القربان بعد الله، كسمتك في إبراهيم بإسماعيل، ووسمت بأبي طالب في ولده كسمتك في إسحاق بتقديسك عليهم وتقديم الصفوة لهم، فلقد بلغت إلهي بنبي أبي طالب الدرجة التي رفعت إليها فضلهم في الشرف الذي مددت به أعناقهم، والذكر الذي حليت به أساءهم، وجعلتهم معدن النور وجنته، وصفوة الدين وذروته، وفريضة الوحي وسنته، ثم أذنت لعبد الله في نبذه عند ميقات تطهير أرضك من كفار الأمم الذين نسوا عبادتك، وجهلوا معرفتك، واتخذوا أندادا، وجحدوا ربوبيتك، وأنكروا وحدانيتك، وجعلوا لك شركاء وأولادا، وصبوا إلى عبادة الأوثان وطاعة الشيطان، فدعاك نبينا (صلوات الله عليه) بنصرته فنصرته بي وبجعفر وحزمة، فنحن الذين اخترتنا له وسميتنا في دينك لدعوتك أنصارا لنبيك، قائدنا إلى الجنة...) (بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٢٥، ص ٢٨ - ٣٢).

إلى مكة وكونها خير مستقرّ لكونها أمّ القرى ومقصد خلق الله ومحلّ كعبته^(١).
بعد خروجه (صلوات الله وسلامه عليه) من عالم الأصلاب والأرحام
استقر النبي في هذه البقعة الطيبة الطاهرة، التي اختارها الله وجعل فيها بيته
الحرام ومسكن أنبيائه ومهبط وحيه ثم جعلها مقر نبيه ﷺ وهذا كاشف عن
قداستها واختلافها عن سائر البقاع.

قال رسول الله ﷺ:

«إن الله تعالى خلق خلقه فجعلهم فريقين فجعلني في خير الفريقين، ثم
جعلهم قبائل فجعلني في خير قبيلة، ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا،
فأنا خيركم قبيلة وخيركم بيتا»^(٢).

القول الثاني: (مستقره بالمدينة)

قال العلامة التستري: (الظاهر أنّ مراده ﷺ بمستقرّه المدينة، وقد سمّاها
النبي ﷺ الطيبة، ووصفها بأنّها تنفي خبثها كما ينفي الكير^(٣)، خبث الحديد)^(٤).
ومن خطبة له ﷺ قال فيها:

«وهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةٍ، عَلَا بِهَا ذِكْرُهُ وَامْتَدَّ مِنْهَا صَوْتُهُ»^(٥).

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني، ج ٢، ص ٤٠١، ينظر في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد
مغنية، ج ٢، ص ٦٩.

(٢) كنز العمال، المتقي الهندي، ج ١١، ص ٤١٥.

(٣) الكير: كير الحديد، الكير الزرق الذي ينفخ فيه الحداد، والجمع أكيار وكيرة، (لسان العرب،
ج ٥، ص ١٥٧).

(٤) بهج الصباغة، ج ٢، ص ١٤٧.

(٥) الخطبة: ١٦١.

قال ابن أبي الحديد: (طيبة اسم المدينة، كان اسمها يثرب، فسماها رسول الله ﷺ طيبة ومما أكفر الناس به يزيد بن معاوية أنه سماها «خيثة» مراغمة لرسول الله ﷺ) (١).

وقد اسست دولته المسلمين بطيبة، فمن هذه الأرض امتد صوته وعلا ذكره وصارت الملوك والجبابة تتحدث به وتشهد بأنه قائد عظيم لم يشهد التاريخ مثيله.

القول الثالث: (مستقره في قبره)

من المؤكد أن التربة التي ضمت جسد النبي ﷺ وكذلك أهل بيته ﷺ مختلفة عن سائر الترب، ومن المؤكد أن الله حينما يودع تلك الأجساد الطاهرة في ملحودها يكون ذلك المكان خير الأماكن فمن تلك الأضرحة يستجاب الدعاء وفيها مختلف الملائكة ومنها تعلق القبر الزاهرة.

روي أنه ﷺ لما أتم تغسيله قال:

«بأبي أنت وأمي طبت حيا وطبت ميتا..» (٢)، فرسول الله ﷺ طاب وطابت الأرض التي ضمته، فهذه البقعة التي حوت ذلك الجسد صارت مستقره حتى يبعثه الله في أعلى عليين.

المسألة الخامسة

(مستقره في الجنان)

قال تعالى:

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ (٣).

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٢٣٧.

(٢) الأمالي، الشيخ المفيد، ص ١٠٣.

(٣) الفرقان: ٢٤.

وتلك الدار التي اعدّها الله للمتقين هي مستقرهم ودار خلودهم التي وعد الله بها عباده المخلصين، ونحن نعلم ان رسول الله ﷺ أقرب الخلق إلى الله فلا يداني منزلته أحد من الخلق سوى أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فهم يتلونه في الرتبة والشرف لذا صار مستقرهم خير مستقر.

عن الإمام علي عليه السلام قال:

«كان لي عشر من رسول الله ﷺ لم يعطهن أحد قبلي ولا يعطاهن أحد بعدي، قال لي: يا علي، أنت أخي في الدنيا وفي الآخرة، وأنت أقرب الناس مني موقفاً يوم القيامة، ومنزلي ومنزلك في الجنة متواجهان كمنزل الأخوين...»^(١).

وعنه عليه السلام قال:

«يا عليّ، يدك في يدي يوم القيامة، تدخل معي حيث أدخل»^(٢).

فكلما كان الإنسان أقرب إلى النبي كان الأقرب إلى الله وهذا أمير المؤمنين قد نال شرف القربى من النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا تربى بحجره ولم يفارقه حتى ارتحل النبي إلى جوار ربه، فهذه الخصوصية لم يحظ بها سوى أمير المؤمنين وفاطمة والحسين (سلام الله عليهم أجمعين).

أما في الآخرة فإنهم مع رسول الله ﷺ يوم القيامة.

قال الإمام علي عليه السلام:

(دخل عليّ رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) وأنا نائم على المنامة فاستسقى الحسن أو الحسين، قال فقام النبي (صلى الله عليه [وآله] وسلم) إلى

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ١٣٦.

(٢) كنز العمال، المتقي الهندي، ج ١١، ص ٦٢٧، ح ٣٣٠٥٦.

شاة لنا بكىء^(١) فحلبها فدرت فجاءه الحسن فنحاه النبي (صلى الله عليه وآله) وسلم) فقالت فاطمة يا رسول الله كأنه أحبهما إليك قال لا ولكنه استسقى قبله ثم قال إني وإياك وهذين وهذا الراقد في مكان واحد يوم القيامة^(٢).

فالذي جمعهم في كساء واحد لا بد وأن يحشرهم في مكان واحد في الجنة. وخلاصة المبحث: إن الله سبحانه وتعالى جعل مستقره (صلوات الله وسلامه عليه) في خير مستقر منذ نشأته الأولى إلى أن يسكنه جنة الخلد التي هي مقره وخلوده.

فكما كان في أعلى عليين لا بد وأن يرجع إلى مكانه وأصله الذي خلق منه كذلك أهل بيته وعترته (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) لهم الخصوصية نفسها.

(١) (بكىء) قليلة اللبن ينظر: القاموس المحيط، ج١، ص٩.

(٢) مسند أحمد، ج١، ص١٠١. عن جابر: قال رسول الله ﷺ: أنا وهذا - يعني علياً - نجىء يوم

القيامة كهاتين - وجمع بين إصبعيه السبائتين).

المبحث الثاني

(شجرة النبي (صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين))

المسألة الأولى

(أسرة النبي)

قوله ﷺ:

«أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ» (١).

ذكر الإمام ﷺ عترة النبي قبل اسرته ذلك لأن العترة أخص ولكننا أفردنا للعترة فصلاً خاصاً بوصفهم فروع الشجرة النبوية لذا قبل أن نشرع بذكر الفروع لا بد وأن نتحدث قبلها عن الأصول.

قال ابن منظور (الأسر: القوة والحبس، وأسرّة الرجل: عشيرته ورهطه الأذنون لأنه يتقوى بهم، والأسرة: عشيرة الرجل وأهل بيته) (٢).

الأسرة المكان الأول الذي ينشأ به الإنسان بعد خروجه من ذلك العالم، أعني عالم الأصلاب والأرحام، فيكتسب منهم جميع العادات والتقاليد، لذا اختار سبحانه لأنبيائه وأوليائه أعظم الأسر ليكونوا أحجى لهم أمام خصومهم.

ومن خطبة له ﷺ قال فيها:

(١) نهج البلاغة، من الخطبة: ١٦١، ص ٢٢٩.

(٢) لسان العرب، ج ٤، ص ٢٠.

«وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَسَيِّدُ عِبَادِهِ، كُلَّمَا نَسَخَ اللَّهُ الْخُلُقَ فِرْقَتَيْنِ جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا»^(١).

قال الراوندي: (يعني أن محمداً ﷺ كان في ظهر ابراهيم، فلما ولد لإبراهيم اسماعيل واسحاق كان محمداً ﷺ في ظهر أفضلهما وهو اسماعيل أبو العرب، ثم كان في قريش دون الآخرين من العرب)، ثم كان في هاشم أفضل الاخوة، إلى ان كان في ظهر عبد الله خير اخوته)^(٢).

وكلام الإمام عليه السلام مستنبط من حديث النبي محمد ﷺ:

«إن الله خلق الخلق ففرقهم فرقتين فجعلني من خير الفرقتين، ثم جعلهم شعوبا فجعلني في خير شعبة، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خير قبيلة، ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خير بيت، ثم اختار من أهل بيتي أنا وعلياً وجعفر فجعلني خيرهم»^(٣).

وهذه الرواية تكفي لبيان عظيم منزلة آبائه وأسرته (صلوات الله عليهم أجمعين)، وكان ﷺ يفتخر بنسبه، وقيل انه قال هذا الكلام حيث بلغه بعض ما يقوله الناس ف (قال من أنا؟ قالوا أنت رسول الله، قال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، ان الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه.. الخ الحديث)^(٤).

وفي رواية أخرى أن بعض أصحابه تكلم بشيء يمس أسرته ﷺ، فلما سمع النبي ذلك نادى في الصلاة جماعة فقال: (... لا يسألني اليوم أحد: من أبواه؟

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٢١٤.

(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، قطب الدين الراوندي، ج ٢، ص ٣٤٣.

(٣) الخصال، الشيخ الصدوق، ص ٥٥٩.

(٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، ج ٣، ص ٢٩٥.

إلا أخبرته، فقام إليه رجل فقال: من أبي يا رسول الله؟ فقال: أبوك غير الذي تدعى له، أبوك فلان بن فلان، فقام آخر فقال: من أبي يا رسول الله؟ قال: أبوك الذي تدعى له، ثم قال رسول الله ﷺ: ما بال الذي يزعم أن قرابتي لا تنفع لا يسألني عن أبيه؟ فقام إليه عمر فقال: أعوذ بالله يا رسول الله من غضب الله وغضب رسوله، اعف عني عفا الله عنك^(١).

فهذه الأسر العريقة كان لها مجد عظيم وشرف وسؤدد لذا حسدهم الناس على هذه النعمة، وأراد بعض أصحاب النسب الخبيث أن يعيهم أو يقذفهم بشيء من الجاهلية لكن الله حفظهم من كل رجس وطهرهم تطهيرا.

قال رسول الله ﷺ:

«أتاني جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله عز وجل بعثني فطفت شرق الأرض وغربها وسهلها وجبلها فلم أجد حيا خيرا من العرب ثم أمرني فطفت في العرب فلم أجد حيا خيرا من مضر، ثم أمرني فطفت في مضر فلم أجد حيا خيرا من كنانة، ثم أمرني فطفت في كنانة فلم أجد حيا خيرا من قريش، ثم أمرني فطفت في قريش فلم أجد حيا خيرا من بني هاشم، ثم أمرني ان اختار من أنفسهم فلم أجد فيهم نفسا خيرا من نفسك»^(٢).

فمن بين مشارق الأرض ومغارها اختار سبحانه لنبيه وخاتم رسله هذه الأسرة الطيبة الطاهرة كي تكون مأوى له وسنداً للدين.

ومن خطبة له عليه السلام بين فيها أهمية العشيرة وإنه لا بد للإنسان من التمسك بعشيرته وأهل بيته، قال عليه السلام:

(١) بحار الأنوار، ج ٩٣، ص ٢٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٩٥.

«أَلَا لَا يَعْدِلَنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ يَرَىٰ بِهَا الْخِصَاصَةَ، أَنْ يَسُدَّهَا بِالَّذِي لَا يَزِيدُهُ إِلَّا أَمْسَكَهُ، وَلَا يَنْقُصُهُ إِلَّا أَهْلَكَهُ، وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنِ عَشِيرَتِهِ، فَإِنَّمَا تُقْبِضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ، وَتُقْبِضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ - وَمَنْ تَلَّنَ حَاشِيَتَهُ يَسْتَدِمُّ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ» (١).

العشيرة هي السند والمعتمد، ومن لا عشيرة له لا سند له، روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه خطب فقال:

«عشيرة الرجل للرجل خير من الرجل لعشيرته، إنه إن كف يده عنهم كف يدا واحدة وكفوا عنه أيدي كثيرة مع مودتهم وحفاظهم ونصرتهم، حتى لربما غضب الرجل للرجل وما يعرفه إلا بحسبه، وسأتلو عليكم بذلك آيات من كتاب الله، فتلا هذه الآية:

﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ (٢).

قال علي عليه السلام: والركن الشديد العشيرة، فلم تكن للوط عشيرة فوالذي لا إله إلا هو، ما بعث الله نبيا قط بعد لوط إلا ثروة من قومه وتلا هذه الآية في شعيب:

﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ (٣)، قال: كان مكفوفاً فنسبوه إلى الضعف، (وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ) قال علي: فوالذي لا إله غيره، ما هابوا جلال ربهم إلا العشيرة (٤)، لذا وضع سبحانه نبيه وخاتم رُسله في خير

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٣.

(٢) هود: ٨٠.

(٣) هود: ٩١.

(٤) كنز العمال، المتقي الهندي، ج ٢، ص ٤٣٧، ح ٤٤٣٦.

اسرة وخير عشيرة كي يهابوه.

قال أبو عبد الله عليه السلام:

«نزل جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول: إني قد حرمت النار على صلب أنزلك وبطن حملك وحجر كفلك، فالصلب صلب أبيك عبد الله بن عبد المطلب والبطن الذي حملك فأمّنة بنت وهب وأما حجر كفلك فحجر أبي طالب، وفي رواية ابن فضال وفاطمة بنت أسد»^(١).

يقول العلامة المجلسي: (وهذا الخبر يدل على إيمان هؤلاء، فإن الله تعالى أوجب النار على جميع المشركين والكفار كما دلت عليه الآيات والأخبار)^(٢).

عاش (صلوات الله وسلامه عليه) بين احضان هؤلاء الأطهار وقد توفي أبوه عبد الله بن عبد المطلب بالمدينة عند أخواله وهو ابن شهرين وماتت أمه أمّنة بنت وهب وهو صلى الله عليه وآله ابن أربع سنين ومات عبد المطلب وللنبي صلى الله عليه وآله نحو ثمان سنين وتزوج خديجة وهو ابن بضع وعشرين سنة فولد له منها قبل مبعثه صلى الله عليه وآله القاسم ورقية وزينب وأم كلثوم وولد له بعد المبعث الطيب والطاهر وفاطمة عليها السلام وروي أيضا أنه لم يولد له بعد المبعث إلا فاطمة عليها السلام وأن الطيب والطاهر ولدا قبل مبعثه^(٣).

وكان لخديجة عليها السلام مواقف كثيرة دلت على انها من السيدات الفاضلات ويكفي في شأنها وعلو قدرها أنها أم الزهراء عليها السلام فهذا كافٍ في بيان فضلها، ولولا أموالها وسيف علي لما قام الإسلام.

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٤٤٦.

(٢) بحار الأنوار، ج ١٥، ص ٦٢.

(٣) الوافي، الفيض الكاشاني، ج ٣، ص ٧٢٢.

كذلك حمزة عم النبي ﷺ له مواقف كثيرة ومشرفة ويكفيه فخرا انه حاز لقب سيد الشهداء وهذا كافٍ في بيان منزلته ومكاته عند الله ورسوله.

أما أم الإمام علي ﷺ فاطمة بنت أسد فإن لها منزلة عظيمة وقد افتخرت على مريم وباقي السيدات اللواتي مزين قبلها ذلك في بيت الله الحرام حينما ولدت الإمام علياً ﷺ^(١) وهذه السيدة كانت لرسول الله بمثابة الأم وقد قال عنها ﷺ: (رحمك الله يا أمي ! كنت أمي بعد أمي)^(٢).

(١) قال العباس بن عبد المطلب ويزيد بن قعنب، لما تكلمت فاطمة بنت أسد ودعت بهذا الدعاء، رأينا البيت قد انفتح من ظهره، ودخلت فاطمة فيه، وغابت عن أبصارنا، ثم عادت الفتحة والتزقت بأذن الله (تعالى)، فرمنا أن نفتح الباب ليصل إليها بعض نساءنا، فلم يفتح الباب، فعلمنا أن ذلك أمر من أمر الله (تعالى)، وبقيت فاطمة في البيت ثلاثة أيام. قال: وأهل مكة يتحدثون بذلك في أفواه السكك، وتتحدث المخدرات في خدورهن، قال: فلما كان بعد ثلاثة أيام انفتح البيت من الموضع الذي كانت دخلت فيه، فخرجت فاطمة وعلي ﷺ على يديها، ثم قالت: معاشر الناس، إن الله ﷻ اختارني من خلقه، وفضلني على المختارات ممن مضى قبلي، وقد اختار الله آسية بنت مزاحم فإنها عبدت الله سرا في موضع لا يجب أن يعبد الله فيه إلا اضطرارا، ومريم بنت عمران حيث اختارها الله، ويسر عليها ولادة عيسى، فهزت الجذع اليابس من النخلة في فلاة من الأرض حتى تساقط عليها رطبا جنيا، وإن الله (تعالى) اختارني وفضلني عليها، وعلى كل من مضى قبلي من نساء العالمين، لأنني ولدت في بيته العتيق، وبقيت فيه ثلاثة أيام آكل من ثمار الجنة وأوراقها، فلما أردت أن أخرج وولدي على يدي هتف بي هاتف وقال: يا فاطمة، سميه عليا، فأنا العلي الأعلى، وإني خلقت من قدرتي، وعز جلالتي، وقسط عدلي، واشتقت اسمه من اسمي، وأدبته بأدبي، وفوضت إليه أمري، ووقفته على غامض علمي، وولد في بيتي، وهو أول من يؤذن فوق بيتي، ويكسر الأصنام ويرميها على وجهها، ويعظمني ويمجدني ويهللني، وهو الامام بعد حبيبي ونبيي وخيرتي من خلقي) الأمايلي الشيخ الطوسي، ج ٤، ص ٣١.

كذلك أبو طالب نال من الفضل والعظمة ما لا يصل إليه إلا المقربون من الصديقين والصالحين وقد وردت أحاديث كثيرة توضح انه من الأولياء وان منزلته أعظم من أن يتصورها أحد من الخلق ما سوى النبي والعترة الطاهرة. وفي رواية توضح أن النبي محمد ﷺ هو من اختار أبا طالب في تولي رعايته، فعن فاطمة بنت أسد رضي الله عنها قالت:

«... قال عبد المطلب: يا محمد جدك على جناح السفر إلى القيامة، أي عمومتك وعماتك تريد أن يكفلك؟ فنظر في وجوههم، ثم زحف إلى عند أبي طالب، فقال له عبد المطلب: يا أبا طالب، إني قد عرفت ديانتك وأمانتك، فكن له كما كنت له...» (١).

فكان سبب اختياره (صلوات الله وسلامه عليه) لعمه أبي طالب لعدة أوجه:

الوجه الأول: كان أبو طالب أخاً لعبد الله والد النبي من الأب والأم وبذلك يكون أكثر رافة وأقرب إلى النبي من غيره.

الوجه الثاني: معرفته بعمه أنه صاحب ذلك النور العظيم الذي اودعه الله إياه فهو أبو الوصي، فكما كان نور النبي ﷺ، يشرق في وجه آبائه فقد كان نور الوصي عليه السلام يشرق في وجه أبي طالب، لذا لم يخف ذلك النور عن النبي محمد عليه السلام فكلاهما من نور واحد لذا اختاره.

الوجه الثالث: أمانته وديانته فأبو طالب مشهور بالأمانة والديانة بين أهل بيته وذلك لا يخفى عليهم وإنما أسر إيمانه عن قريش لحفظ رسالة النبي.

قال جابر لرسول الله ﷺ:

«يا رسول الله أكثر الناس يقولون: إن أبا طالب مات كافرا، قال يا جابر: ربك أعلم بالغيب، إنه لما كانت الليلة التي أسري بي فيها إلى السماء انتهيت إلى العرش، فرأيت أربعة أنوار فقلت: إلهي ما هذه الأنوار، فقال يا محمد هذا عبد المطلب، وهذا عمك أبو طالب، وهذا أبوك عبد الله، وهذا أخوك طالب فقلت: إلهي وسيدي فيماذا نالوا هذه الدرجة؟ قال: بكتانهم الإيثار، وإظهارهم الكفر وصبرهم على ذلك حتى ماتوا عليه، سلام الله عليهم أجمعين»^(١).

لم يظهر هؤلاء الأبطال إيمانهم للناس حتى ماتوا، لكن من تتبع أخبارهم ونظر إلى فعالهم أيقن أنهم ليسوا بالعباد العاديين وإنما هم من الأولياء الصالحين، والمواقف المشرفة لأبي طالب وحفظه لرسول الله ﷺ ودفاعه عنه خير دليل على إيمانه وعظيم منزلته عند الله.

روى الشارح المعتزلي عن النبي ﷺ في فضل قريش وبني هاشم الكثير المستفيض، نحو قوله ﷺ:

«قدموا قريشا ولا تقدموها»، وقوله:

«الأئمة من قريش»، وقوله:

«إن الله اصطفى من العرب معدا، واصطفى من معد بني النضر بن كنانة، واصطفى هاشما من بني النضر، واصطفاني من بني هاشم»، وقوله:

«إن جبرائيل ﷺ قال لي: يا محمد قد طفت الأرض شرقا وغربا فلم أجد فيها أكرم منك، ولا بيتا أكرم من بني هاشم»، وقوله:

«نقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية»، وقوله ﷺ:

(١) روضة الواعظين، الفتال النيسابوري، ص ٨٠.

«إن الله تعالى لم يمسسني بسفاح في أرومتي منذ إسماعيل بن إبراهيم إلى عبد الله بن عبد المطلب»، وقوله عليه السلام:

«سادة أهل المحشر، سادة أهل الدنيا: أنا وعلي وحسن وحسين وحمزة وجعفر»^(١).

وهذه الشواهد خير دليل على ان أسرة النبي خير الأسر.

المسألة الثانية

(شجرته صلوات الله وسلامه عليه)

قوله عليه السلام:

«وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ»^(٢).

معنى قوله: «شَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ»، أي أصله خير أصل ودليل ذلك قوله (صلوات الله وسلامه عليه):

«خلقت أنا وعلي من شجرة واحدة وباقي الناس من اشجار شتى»، فهذه الشجرة مميزة عن باقي الأشجار كونها ضمت الأنبياء والصديقين والصالحين من الناس.

وفي هذا الحديث بيان مهم وهو أنه (صلوات الله وسلامه عليه) أراد أن يبين لعلي عليه السلام قرابته المادية والمعنوية، فعلي كمحمد، كلاهما من شجرة واحدة وأصل واحد ومعدن واحد، كما أنهم خلقوا من نور واحد.

وكان (صلوات الله وسلامه عليه) يقول: (الحمد لله الذي أخرجني من

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج٧، ص ٦٤.

(٢) نهج البلاغة، من الخطبة ٩٤، ص ١٣٩.

أفضل نبات، من الشجرة التي خلق منها الأنبياء^(١).

وقوله ﷺ:

«نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ».

احتمل بعض الشراح مكة المكرمة^(٢) قال محمد تقي التستري («نبتت في حرم» أي: عزّ ومنعة، وليس المراد مكة كما احتمله ابن أبي الحديد، فلو كانت مراده لقال: في الحرم لا في حرم)^(٣).

وقوله ﷺ:

«وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ».

(بسق: الباء والسين والقاف أصل واحد وهو ارتفاع الشيء وعلوه، يقال بسقت النخلة بسوقا إذا طالت وكملت)^(٤).

وهي (إشارة إلى أن النبي ﷺ لم يولد في أرض وأسرّة عزيزة كريمة فحسب، بل ترعرع وتربى في بيئة مفعمة بالكرامة والشموخ (لأن البسوق في الأصل تعني ارتفاع وطول فروع وأغصان النخل))^(٥).

وبعد هذا البيان الواضح والصريح في عظيم قدر هذه الشجرة وما حوت من كرام الخلق فهل من الممكن أن ننسب بني أمية إلى هذه الشجرة المباركة؟! والجواب على هذا السؤال يوضحه كتابه ﷺ لمعاوية، فمن كتاب لأمير

(١) بحار الأنوار، ج ١٥، ص ٣٧٦..

(٢) ينظر، شرح ابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٦٢.

(٣) بهج الصباغة، محمد تقي التستري، ج ٢، ص ١٣٦.

(٤) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ابن فارس)، ج ١، ص ٢٤٧.

(٥) نفحات الولاية، ج ٤، ص ١٦٣.

المؤمنين ﷺ أرسله لمعاوية بيّن فيه أن بني أمية لصقاء ببني هاشم قال ﷺ:

«أَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ، فَكَذَلِكَ نَحْنُ، وَلَكِنْ لَيْسَ أُمِّيَّةٌ كَهَاشِمٍ،
وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ، وَلَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ،
وَلَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ، وَلَا الْمُحِقُّ كَالْمُبِطِلِ، وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ، وَلَيْسَ الْخُلْفُ
خُلْفٌ يَتَّبِعُ سَلْفًا هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَفِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النَّبُوَّةِ الَّتِي أَذَلْنَا بِهَا
الْعَزِيزَ، وَنَعَشْنَا بِهَا الدَّلِيلَ، وَلَمَّا أَدْخَلَ اللهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجًا، وَأَسْلَمَتْ
لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ طَوْعًا وَكَرْهًا، كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً، عَلَى
حِينَ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ، وَذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوْلُونَ بِفَضْلِهِمْ، فَلَا تَجْعَلَنَّ
لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيبًا، وَلَا عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا وَالسَّلَامُ»^(١).

يفتخر الإمام ﷺ بشرف آبائه ونسبهم كما كان رسول الله ﷺ يفتخر بهذا
النسب الطاهر وهذه الأسرة الطيبة، فبنو هاشم من نسل الأكارم لذا خصهم
الله بعنائه، وكان أهل العناد من قريش ينسبون أنفسهم إلى تلك البطن من
هاشم، لما للهاشميين من قدر بين الناس وذلك النسل السامي.

روى العلامة المجلسي (رحمه الله): (لما انتهى كتاب علي ﷺ إلى معاوية كتبه
عمر ثم دعاه فأقرأه فشمت به عمرو وقد كان نهاه ولم يكن أحد من قريش أشد
تعظيمًا لعلي ﷺ من عمرو بعد اليوم الذي صرعه عن دابته فقال عمرو:

أَلَا اللهُ دَرَكُ يَاسِرٍ هِنْدٍ

وَدَرِ الْمَرْدِيِّ الْحَالِ الْمَسْوَدِ

أَطْمَعُ لَا أَبَالِكَ فِي عَلِيٍّ

وَقَدْ قَرَعَ الْحَدِيدَ عَلَى الْحَدِيدِ

(١) نهج البلاغة، الكتاب: ١٧.

وترجو أن تخادعه بشك
وترجو أن يهابك بالوعيد
وقد كشف القناع وجر حربا
يشيب لهولها رأس الوليد
له جأواه مظلمة طحون
فوارسها تلهب كالاسود
يقول لها إذا رجعت إليه
بقتل بالطعان اليوم عودي
فإن وردت فأولها ورودا
وإن صدرت فليس بندي ورود
وما هي من أبي حسن بنكر
وما هي من مساتك بالبعيد
وقلت له مقالة مستكين
ضعيف القلب منقطع الوريد
طلبت الشام حسبك يا بن هند
من السوات والرأي الزهيد
ولن أعطاكها ما ازددت عزا
ومالك في استزادك من مزيد
فلم تكسر بهذا الرأي عودا
سوى ما كان لا بل رق عود

فقال معاوية: والله لقد علمت ما أردت بهذا، قال عمرو: وما أردت به؟
قال عيبك رأيي في خلافتك ومعصيتك والعجب لك تفيل رأيي وتعظم عليا

وقد فضحك^(١)، فقال^(٢): أما تفيللي رأيك فقد كان وأما إعظامي عليا فإنك بإعظامه أشد معرفة مني ولكنك تطويه وأنشره وأما فضيحتي فلن يفتضح رجل بارز عليا فإن شئت أن تبلوها أنت منه فافعل فسكت معاوية وفشا أمرهما في أهل الشام^(٣).

وقوله عليه السلام:

«أَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنْفٍ، فَكَذَلِكَ نَحْنُ»، لم يكن بنو أمية صحيحي النسب إلى عبد مناف، ولكنه عليه السلام ساير معاوية ولم يرد عليه في بادئ الكتاب ولم ينكر له ذلك بقوله: «فَكَذَلِكَ نَحْنُ» لأن الإمام أراد أن يقول له لو افترضنا اننا نرجع إلى عبد مناف، لكن هنالك فرق كبير بين آبائي وآبائك^(٤).

قال حبيب الله الخوئي: (وإن كان منتسبا إلى عبد مناف بحسب الظاهر لكنّ دنيّات أموره ورذيلات صفاته قد أخرجته من بيت الشرف حقيقة وكم من فعال خبيثة وأعمال غير صالحة أوجبت القطع عن بيت ورحم وفي القرآن الكريم قال:

﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾^(٥)، ولا يخفى عليك أنّ الورد والشوك من أصل واحد ولكن أين هذا من ذلك^(٦).

(١) لما فضحك يوم بارزته، هكذا في بعض النسخ.

(٢) فضحك عمرو وقال، هكذا في بعض النسخ.

(٣) بحار الأنوار، ج ٣٢، ص ٦١٢-٦١٣، التأكيد من رقم الصفحة.

(٤) وسيأتي الحديث في التفرقة بين أمية وهاشم اعتمادا على قول الإمام عليه السلام في المسألة الثالثة.

(٥) هود: ٥٠.

(٦) منهاج البراعة، السيد حبيب الله الخوئي، ج ١٨، ص ٢٥٨.

لو رجعنا إلى الأصل فكلنا من آدم عليه السلام ولكن هنالك عوائل بقت على طهرها والتزامها وعرفها، أما الكثير من العوائل قد شذوا لذا كان من الواجب تمييز الخبيث من الطيب، وعلى هذا الاساس جعل الله سبحانه أنبياءه في أرقى البيوتات شرفاً وطهراً ومكانةً وجعل أصلهم طاهراً كي لا يعابوا من هذا الجانب، فبيوتات الرسالة يجب ان تتميز عن سائر الناس بالكثير من المزايا ومن أهمها طيب الولادة.

نقل المجلسي عن الكامل البهائي ^(١): (إن أمية كان غلاماً رومياً لعبد الشمس، فلما ألقاه كيساً فطنا أعتقه وتبناه، فقبل أمية بن عبد الشمس كما كانوا يقولون قبل نزول الآية زيد بن محمد، ولذا روي عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ * غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ ^(٢)، إنهم بنو أمية، ومن هنا يظهر نسب عثمان ومعاوية وحسبهما، وأنها لا يصلحان للخلافة لقوله عليه السلام: الأئمة من قريش ^(٣).
فبنو أمية روميو الأصل وبهذا يكونون لصقاء وقد جاء في تفسير البرهان أيضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

« قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ * غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ هي فينا، وفي بني أمية » ^(٤).

وقد نقل العلامة المجلسي ايضاً عن كتاب إلزام النواصب ^(٥): (أمية لم

(١) كامل البهائي - فارسي - (للحسن بن علي بن محمد الطبري - عماد الدين الطبري -) ١ /

(٢) الروم: ١ - ٢.

(٣) بحار الأنوار، ج ٣١، ص ٥٤٣.

(٤) البرهان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٣٣٥.

(٥) إلزام النواصب: ١٠٤ - ١٠٥.

يكن من صلب عبد شمس وإنما هو من الروم فاستلحقه عبد شمس فنسب إليه، فبنو أمية كلهم ليسوا من صميم قريش، وإنما هم يلحقون بهم، ويصدق ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام أن بني أمية لصاق وليسوا صحيحي النسب إلى عبد مناف، ولم يستطع معاوية إنكار ذلك^(١).

وقد أكد أمير المؤمنين عليه السلام أن بني أمية لصقاء على بني هاشم بقوله عليه السلام:
 «وَلَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيْقِ وَلَا الصَّرِيْحُ كَاللَّصِيْقِ، وَلَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ».

قال السيد محمد الحسيني الشيرازي: (وَلَا الْمُهَاجِرُ) يعني نفسه الكريمة (كَالطَّلِيْقِ) أي الذي أطلق، حيث إن معاوية اسلم عام الفتح، وأطلقهم الرسول صلى الله عليه وآله منا عليهم حيث قال لهم اذهبوا فأنتم الطلقاء، (وَلَا الصَّرِيْحُ) يعني نفسه الزكية حيث إن نسبه صحيح لا مغمز فيه (كَاللَّصِيْقِ) أي كالذي ألصق بالقبيلة وليس منهم، فإن أمية كما يذكر أهل التواريخ كان عبدا روميا تبناه عبد الشمس ويقال ان بينها كان اتصالاً محرماً، وهذا ليس بعيدا من سيرة آل أمية فإن أخلاقهم لا تشبه أخلاق العرب، فضلا عن قريش والهاشميين^(٢).

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية جوابا قال فيه:

«أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ، تَذَكَّرْتُ فِيهِ اصْطِفَاءَ اللَّهِ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله لِدِينِهِ، وَتَأْيِيدَهُ إِيَّاهُ لِمَنْ أَيْدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَقَدْ حَبَّأْنَا لِنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَبًا، إِذْ طَفِقْتَ تُخْرِئُنَا بِبَلَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَنَا، وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا، فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجْرٍ، أَوْ دَاعِيٍ مُسَدِّدِهِ إِلَى النَّضَالِ، وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ فَلَانٌ وَفُلَانٌ،

(١) بحار الأنوار، ج ٣١، ص ٥٤٤.

(٢) توضيح نهج البلاغة، السيد محمد الحسيني الشيرازي، ج ٣، شرح هامش، ص ٤٥٩.

فَدَكَّرَتْ أَمْرًا إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَكَ كُفُّهُ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقَكَ ثَلْمُهُ، وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ
وَالْمُفْضُولَ وَالسَّائِسَ وَالْمُسُوسَ، وَمَا لِلطُّلُقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلُقَاءِ، وَالتَّمْيِيزَ بَيْنَ
الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، وَتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ وَتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ، هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَّ قِدْحُ
لَيْسَ مِنْهَا» (١).

جاء في كتاب جمهرة الأمثال لأبي هلال، في قولهم (حن قدح ليس منها):
قال: (يضرب مثلا للرجل يدخل نفسه في القوم ليس منهم ولما قال عقبه بن
أبي معيط يوم بدر حين أراد النبي (صلى الله عليه وآله) قتله أقتل من
بين قريش قال عمر (حن قدح ليس منها) (٢).
وقد نقل ابن أبي الحديد من كتاب ابن أبي رؤبة .

قال: ومما يصدق قول من روى أن أمية بن عبد شمس استعبده عبد المطلب
شعر أبي طالب بن عبد المطلب حين تظاهرت عبد شمس ونوفل عليه وعلى
رسول الله ﷺ وحصر وهما في الشعب، فقال أبو طالب:
قديما أبوهم كان عبدا لجدنا
بني أمية شهلاء جاش بها البحر (٣).

(١) نهج البلاغة، رقم الكتاب: ٢٨.

(٢) جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، ج ١، ص ٣٧٠. ولمن أراد الاستزادة فليراجع، شرح نهج
البلاغة، لابن أبي الحديد، ج ١٥، ص ١٩٨، (فضل بني هاشم على بني عبد شمس).
كذلك بنو أمية في نهج البلاغة، اطروحة ماجستير. قسم التاريخ جامعة ذي قار، المبحث الأول،
ص ١١: (نسب بني أمية وصورتهم بالقرآن والأحاديث النبوية الشريفة)، للطلاب، علي حسين
عودة الموسوي، إشراف الدكتور رائد حمود الحصونة.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٥، ص ٢٣٣.

قال الحاج حسن الشاكري: ((لصيق) في اللغة العربية على انتحال أمية نسبه إلى عبد شمس، وأما قول أبي طالب فلا يقل دلالة عن قول ابنه بل يزيده تفصيلا لما أجمل أمير المؤمنين، وتبيننا لما أبهم، فإذا كان الإلصاق ملتبس الكيفية في قول أمير المؤمنين فقد أوضحه أبوه بقوله: (بني أمة شهلاء جاش بها البحر). فالأبيات التي أنشأها أبو طالب صريحة بأن أمية شيء قذفه البحر إلى الحجاز مع التجارة التي كانت ترد إلى مكة من الروم وغيرها، وهل يجيش البحر بشيء من السلع الآدمية غير الرقيق والإماء؟ ولعل اختيار كلمة (شهلاء) في وصفه يدل على ما نفهمه، يعني الروم، فالشهل زرقة العيون يشاب بها سواد العين، وهي صفة لا تعرفها العين العربية. وهاتان الشهاداتان صدرتا من أبي طالب وابنه علي، كما عرفناهما وعرفتهما الدنيا رجلا رجلا بران تقيان يتحرجان من القول في غير علم، ويأنفان من الاعتماد على الهجاء، وإذا قالوا لم يرجما بالغيب وإذا أخبرا لم يصدرا إلا عن الصدق والإنصاف والحق، لا تأخذهما في الله لومة لائم، ولا عداوة أو صداقة، ولا ينحرف بها رضى أو سخط)^(١).

المسألة الثالثة

(التفرقة بين بني أمية وبني هاشم)

قوله (عليه السلام):

«لَيْسَ أُمَّيَّةٌ كَهَاشِمٍ، وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ»^(٢).

بين الإمام (عليه السلام) في هذه الخطبة الفرق بين آباء معاوية (لعنة الله عليهم) وبين آباء النبي (صلوات الله وسلامه عليهم) فكانت المقارنة بين:

(١) هشام وعبد شمس، الحاج حسين الشاكري، ص ١٣٣ - ١٣٤.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب: ١٧، من كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية - جوابا، ص ٣٧٤.

أولاً: (أمية - هاشم).

قوله (عليه السلام):

«لَيْسَ أُمِيَّةٌ كَهَاشِمٍ».

فلا قياس بين البخيل والكريم ولا القبيح والجميل ولا تقاس الظلمات بالنور، ولا يقاس نسل الحرام مع الأصلاب الشائخة فهذا معنى كلامه (عليه السلام).

قال الشيخ محمد عبده في تعليقه: (صفات الخير كلها لبني هاشم، وصفات الشر لبني أمية)^(١).

وفي رواية أن معاوية قال لابن عباس: (ما نرى لكم علينا من فضل، ألسنا فروع دوحه يجمعنا عبد مناف، قال ابن عباس: هيهات يا معاوية! حدث عن الصواب، وتركت الجواب، بيننا وبينكم برزخ وحجاب، أنتم الحثالة، ونحن اللباب، ولشتان ما بين العبيد والأرباب! أتجعل أمية كهاشم؟ إن هاشما كان صميها كريها، ولم يكن لثيها، ولا زنيها، أول من هشم الثريد وسن الرحلتين...)^(٢).

فقول ابن عباس (رضوان الله عليه): (أنتم الحثالة) يكفي في بيان خبث وفساد الأصل، وقوله (رضوان الله عليه): (ولشتان ما بين العبيد والأرباب)، دليل واضح على ان أمية كان عبداً لبني هاشم.

وكان أمية رجلاً مقيتاً فاحشاً، وقد ذكر المقرئ في كتاب النزاع والتخاصم: (صنع أمية في الجاهلية شيئاً لم يصنعه أحد من العرب: زوج ابنه أبا عمرو ابن

(١) في ظلال نهج البلاغة، ج ٣، ص ٤٢٦.

(٢) أخبار الدولة العباسية، ص ٥٠.

أمية امرأته في حياة منه، والمقيتون في الإسلام هم الذين أولدوا نساء آبائهم واستنكحوهن من بعد موتهم، وأما أن يتزوجها في حياته وبينها عليها وهو يراه فإن هذا لم يكن قط، وأمّية قد جاوز هذا المعنى ولم يرض بهذا المقدار حتى نزل عنها له وزوجها منه، وأبو معيط بن أبي عمرو بن أمية قد زاد في المقت درجتين... (١).

وفي كتاب النزاع والتخاصم أيضا نقل: (ان أمية كان صاحب عهار يدل على ذلك قول نفيل بن عبد العزى جد عمر بن الخطاب حين تنافر إليه حرب بن أمية وعبد المطلب بن هاشم فنفر عبد المطلب وتعجب من إقدامه عليه وقال: أبوك معاهر وأبوه عف وذاد الضيل عن بلد حرام) (٢).

فكيف يقاس هذا المقيت مع العفيف الطاهر صاحب المجد والشرف الملقب (بعمر العلى).

ثانياً: (حرب - عبد المطلب)

قوله عليه السلام:

«وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ».

كان عبد المطلب سيدا هاشميا ذا مكانة عريقة وقد ساد مكة وكانت بيده السقاية والرفادة والسدانة، وكان موصوفاً بالكرم والشجاعة، وكانت الملوك تجله وتحترمه لما له من هيبة وجمال عجيب، أما حرب فكان عكس صفاته.

عن هشام بن محمد قال: (أخبرني رجل من بني كنانة يقال له ابن أبي صالح ورجل من أهل الرقة مولى لبني أسد وكان عالماً قالاً تنافر عبد المطلب بن هاشم

(١) النزاع والتخاصم، ص ٥٠.

(٢) النزاع والتخاصم، المقرئ، ص ٥٠.

وحرب ابن أمية إلى النجاشي الحبشي فأبى أن ينفر بينهما فجعل بينهما نفيل ابن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب فقال لحرب يا أبا عمرو أتنافر رجلا هو أطول منك قامة وأعظم منك هامة وأوسم منك وسامة وأقل منك لامة وأكثر منك ولدا وأجزل منك صفدا وأطول منك مذودا فنفره عليه فقال حرب إن من انتكاث الزمان أن جعلناك حكما^(١).

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«إن الله يبعث جدي عبد المطلب أمة واحدة في هيئة الأنبياء وزى الملوك»^(٢).

ويكفي موقفه مع أبرهة، فهذا الموقف خير دليل على انه من الموحدن بل هو من الأولياء الصالحين الذين اودعهم الله هذا النور.

ولم يكن في العرب من يضاهاى اجداد النبي وأهل بيته وعشيرته فلكرمهم وشجاعتهم وزهدهم وما فيهم من وصف جميل أكرمهم الله عز وجل بنور محمد ﷺ. و(كان لكل واحد من ولد عبد المطلب شرف وذكر وفضل وقدر ومجد، وحج عامر بن مالك ملاعب الأسنة البيت فقال: رجال كأنهم جمال جون، فقال: بهؤلاء تمنع مكة، وحج أكثم بن صيفي في ناس من بني تميم فرأهم يخترقون البطحاء كأنهم أبرجة الفضة يلحقون الأرض جيرانهم، فقال: يا بني تميم إذا أحب الله أن ينشئ دولة نبت لها مثل هؤلاء، هؤلاء غرس الله لا غرس الرجال، وكان يفرش لعبد المطلب بفناء الكعبة، فلا يقرب فراشه حتى يأتي رسول الله، وهو غلام، فيتخطى رقاب عمومته، فيقول لهم عبد المطلب: دعوا ابني، إن لابني هذا لشأنا... وكان أصحاب الكتاب لا يزالون يقولون لعبد

(١) تاريخ الطبري، ج ٢، ص ١٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٤.

المطلب في رسول الله منذ ولد فيعظم بذلك ابتهاج عبد المطلب، فقال: أما والله لئن نفسني قريش الماء، يعني ماء سقاه الله من زمزم وذو الهرم، لتنفسي غدا الشرف العظيم والبناء الكريم والعز الباقي والسناء العالي إلى آخر الدهر ويوم الحشر^(١).

ثالثاً: (أبو سفيان - أبو طالب).

قوله ﷺ:

«وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ».

لا قياس بين الكافر والمؤمن ولا قياس بين عدو رسول الله ﷺ وجامع الأحزاب، مع ناصر رسول الله ﷺ وكافله وحاميه.

قال السيد جعفر مرتضى العاملي: (فإذا كان أبو طالب ﷺ كافراً وأبو سفيان مسلماً، فكيف يفضل الكافر على المسلم، ثم لا يرد عليه ذلك معاوية بن أبي سفيان؟ ولكن الحقيقة هي عكس ذلك تماماً؛ فإن أبا سفيان هو الذي قال: «إنه لا يدري ما الجنة ولا نار»^(٢)، أما أبو طالب فكان متيقناً أنه على الدين الحنيف والصراط المستقيم، قال تعالى:

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾^(٣).

وجاء في تفسير قوله تعالى:

(١) تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ١٢.

(٢) الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ)، السيد جعفر مرتضى العاملي، ج ٤، ص ٢٢.

(٣) فاطر: ١٩ - ٢٢.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾: الكافر والمؤمن ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾: ولا الباطل ولا الحق ﴿وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ﴾: ولا الثواب ولا العقاب ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾: العلماء والجهلاء^(١).
قال الإمام الباقر عليه السلام:

«مات أبو طالب بن عبد المطلب مسلماً مؤمناً [وشعره في ديوانه يدل على إيمانه، ثم محبته وتربيته ونصرته ومعاداة أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله وموالاته أوليائه، وتصديقه إياه بما جاء به من ربه، وأمره لولديه: علي وجعفر بأن يسلما ويؤمنا بما يدعو إليه، وأنه خير الخلق، وأنه يدعو إلى الحق والمنهاج المستقيم، وأنه رسول الله رب العالمين، فثبت ذلك في قلوبهما، فحين دعاهما رسول الله صلى الله عليه وآله أجاباه في الحال، وما تلبثا لما قد قرره أبوهما عندهما من أمره، وكانا يتأملان أفعال رسول الله صلى الله عليه وآله فيجدانها كلها حسنة يدعو إلى سداد واستناد، فحسبك إن كنت منصفاً منه هذا أن يسمح بمثل علي وجعفر ولديه - وكانا من قلبه بالمنزلة المعروفة المشهورة لما يأخذان به أنفسهما من الطاعة له، والشجاعة وقلة النظير لهما - أن يطيعا رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يدعوهما إليه من دين وجهاد، وبذل أنفسهما، ومعاداة من عاداه، وموالاته من والاه من غير حاجة إليه لا في مال ولا في جاه ولا غيره، لأن عشيرته أعداؤه، وأما المال فليس له، فلم يبق إلا الرغبة فيما جاء به من ربه»^(٢).

وأبو طالب (رضوان الله تعالى عليه) أسرَّ الإيمان وأظهر الكفر كي يحمي رسول الله صلى الله عليه وآله من آل أبي سفيان، قال الإمام الصادق عليه السلام:

(١) التفسير الأصفي، الفيض الكاشاني، ج ٢، ص ١٠٢٤

(٢) بحار الأنوار، ج ٣٥، ص ١١٧.

«... إن أبا طالب أسرَّ الإيمان وأظهر الشرك فأتاه الله أجره مرتين»^(١).

ولما مات ﷺ تناولوا على نبي الرحمة، (وفي الحديث الصحيح المشهور أن جبرئيل قال له ليلة مات أبو طالب: اخرج منها فقد مات ناصرك)^(٢).

وبعد هذه المقارنة بين آباء معاوية وآباء رسول الله ﷺ، نقول:

ولا معاوية كعلي فشتان ما بين الظلمات والنور، وكيف يقاس صاحب العهار وابن الزنا مع من شهد له الباري بالطهر من الرجس وحديث الكساء خير دليل على ما نقول، فنفس علي لا تقاس إلا بنفس محمد وآية المباهلة خير شاهد.

روي في كتاب الغارات (كان معاوية لعمارة بن الوليد المخزومي ولمسافر بن أبي عمرو ولأبي سفيان ولرجل آخر سماه، وكانت هند أمه من الملمات وكان أحب الرجال إليها السودان، وكانت إذا ولدت أسود دفتته، وكانت حمامة إحدى جدات معاوية لها راية في ذي المجاز)^(٣).

والخلاصة:

بعد هذه القراءة والتمحيص في نسب أمية نثبت أن لبني أمية عرقاً دساساً في الزنا والفجور، فمن المستحيل ان ننسب بني امية إلى نسل الاكارم الذي شهد لهم الله بالطهارة من الرجس.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٤، ص ٧٠.

(٢) المصدر نفسه، ج ٣٥، ص ١٥٨.

(٣) الغارات، الثقفى، ج ٢، ص ٩٣٨.

الفصل الثاني

اختياره من شجرة النبوة

الفصل الثاني اختياره من شجرة النبوة

المبحث الأول

سبب اختياره وتفضيله على سائر الرسل

من المؤكد أن رسول الله ﷺ فاق الأنبياء فضلاً وشرفاً حتى صار حبيب الله، قال تعالى:

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(١)، فمن بين أهل الجود وأهل الفضل وأهل الكرم والحكمة اختاره الله وقد بين الإمام عليه السلام ذلك في بعض كلامه، فمن خطبة له عليه السلام قال فيها:

«اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَمَشَكَاةِ الضِّيَاءِ وَذُوَابَةِ الْعَلْيَاءِ وَسُرَّةِ الْبَطْحَاءِ وَمَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ وَيَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ»^(٢). فمن خلال هذا البحث سنبين سبب تفضيله (صلوات الله عليه) على جميع الرسل.

المسألة الأولى

(اصطفاءه من شجرة الأنبياء)

قال عليه السلام:

«اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ».

(١) البقرة: ٢٥٣.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٠٨.

هنالك تساؤلات كثيرة حول سبب اختياره (صلوات الله وسلامه عليه) على سائر الرسل بل على جميع الخلائق فهل اختاره سبحانه في عالم الدنيا فقط؟ أم وقع الاختيار عليه في جميع العوالم؟.

فهذه التساؤلات سنجيب عليها إن شاء الله من خلال هذا البحث.

قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(١).

اصطفى سبحانه هؤلاء الأطهار وفضلهم على سائر خلقه، وجعل بيوتهم مهبط وحيه ثم اختار منهم محمداً ﷺ خاتم الرسل وسيد الخلق من الأولين والآخرين، قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُجْتَبَىٰ مِنْ خَلْقِهِ.. وَالْمُصْطَفَىٰ لِكِرَائِمِ رِسَالَاتِهِ»^(٢).

ومعنى اجتنابه أي اختياره واصطفاه على جميع الرسل، قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾^(٣)، ومن كتاب له (عليه السلام) لأهل مصر قال فيه:

«بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ وَمُهَيِّمِنًا عَلَى الْمُرْسَلِينَ»^(٤).

ورد في اللغة (المُهَيِّمُنُ اسم من أسماء الله تعالى، وفي التنزيل: وَمُهَيِّمِنًا عَلَيْهِ؛ قال بعضهم: معناه الشاهد، وقيل بمعنى مُؤَمَّن، وأما قول عباس بن عبد المطلب في شعره يمدح النبي ﷺ:

(١) آل عمران: ٣٣.

(٢) الخطبة: ١٧٨، ص ٢٥٧.

(٣) يوسف: ٦.

(٤) نهج البلاغة، الكتاب: ٦٢.

حتى اُخْتَوِيَ بَيْنُكَ الْمُهَيْمِنُ من خِنْدِفَ، عَلِيَاءَ تَحْتَهَا النُّطُقُ

فإن القتيبي قال: معناه حتى احتويت يا مُهَيْمِنُ من خِنْدِفَ علياء؛ يريد به النبي ﷺ، فأقام البيت مقامه لأن البيت إذا حَلَّ هذا المكان فقد حَلَّ به صاحبه؛ قال الأزهري: وأراد بيته شَرَفَهُ، والمهيمن من نعته كأنه قال: حتى اُخْتَوِيَ شَرَفُكَ الشاهدُ على فضلك علياء الشَّرَفِ من نسب ذوي خِنْدِفَ أَي ذُرْوَةَ الشَّرَفِ من نسبهم التي تحتها النُّطُقُ، وهي أوساطُ الجبال العالية) (١).

قال رسول الله ﷺ:

«إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم» (٢).

فمن ذرية إبراهيم اختار سبحانه إسماعيل عليه السلام: وهو الابن الأكبر لإبراهيم الخليل عليه السلام وأمه هاجر، أما إسحاق فأمه سارة، قال تعالى حاكيا عن نبي الله إبراهيم بقوله:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ» (٣).

وكان رسول الله ﷺ يقول أنا ابن الذبيحين، يعني إسماعيل وعبد الله وفي خبر طويل عن الإمام الرضا عليه السلام أن العلة في دفع الله الذبح عن إسماعيل وعبد

(١) لسان العرب، ج ١٣، ص ٤٣٦.

(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة السيد حبيب الله الخوئي - ج ٧ ص ٥٦.

(٣) إبراهيم: ٣٩.

الله كون النبي والعترة في صلبهم فبركة النبي والأئمة دفع الله الذبح عنهما^(١).
وقد ورث اسماعيل من أبيه ابراهيم ميراث النبوة وآثار علمه ثم لا زالت
تنتقل في ابناء اسماعيل عليه السلام حتى انتقلت في بني هاشم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:
«ان إسماعيل صلوات الله عليه توفي، وهو ابن مائة وثلاثين سنة، ودفن
بالحجر مع أمه، فلم يزل بنو إسماعيل ولاة الأمر يقيمون للناس حجهم وأمر
دينهم يتوارثونها كإبراهيم حتى كان زمن عدنان بن أدد»^(٢).

وهذه السلسلة في الاصطفاء توضح عظيم منزلته عند الله؛ فمن بين الأكرمين
والطيبين من الخلق اختاره الله؛ وكان هذا الاختيار قبل عالم الدنيا ومن الروايات
التي تؤكد ذلك ما روي في الخصال، عن علي بن أبي طالب، عليه السلام قال:

«إن الله تبارك وتعالى خلق نور محمد عليه السلام قبل أن خلق السموات والأرض
والعرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار، وقبل أن خلق آدم ونوحا
وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى وداود وسليمان، وكل
من قال الله عز وجل في قوله ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب﴾ - إلى قوله - وهديناهم إلى
صراط مستقيم﴾، وقبل أن خلق الأنبياء كلهم بأربع مائة ألف وأربع وعشرين
ألف سنة.....»^(٣).

توضح الرواية أفضليته (صلوات الله عليه) على سائر الرسل وفضله عليهم،
كذلك توضح عظيم قدره فلا يوجد مخلوق اقدس من النبي وأعظم منه عند
الله، وكان سبب تفضيله على سائر الخلق أنه (صلوات الله وسلامه عليه) كان

(١) ينظر تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٤٣١.

(٢) قصص الانبياء، الراوندي، ص ١١٦.

(٣) الخصال، الشيخ الصدوق، ص ٤٨٢.

الأقرب إلى الله والأسرع بالتلبية.

جاء في كتاب الاحتجاج في خطبة الزهراء عليها السلام في المسجد النبوي:
(وأشهد أن أبي محمدا عبده ورسوله اختاره قبل أن أرسله، وسماه قبل أن اجتباها،
واصطفاه قبل أن ابتعثه)^(١).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«إن بعض قريش قالوا لرسول الله (صلى الله عليه وآله): بأي شيء سبقت الأنبياء وفضلت
عليهم وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ قال: إني كنت أول من أقر بربي جل
جلاله، وأول من أجاب، حيث أخذ الله ميثاق النبيين، وأشهدهم على أنفسهم:
ألست بربكم؟ قالوا: بلى، فكنت أول نبي قال: (بلى) فسبقتهم إلى الاقرار
بالله عز وجل»^(٢).

فكما عرفنا طاعته في عالم الدنيا وامتناله لأوامر الله كذلك في تلك العوالم
كان مطيعا، لذا نال الأولوية والأفضلية والقربى حتى صار الأقرب إلى الله
روحاً وجسداً.

وقبل أن يخلقنا الله عز وجل بهذا الخلق وكنا ذرأاً أخذ سبحانه علينا الميثاق وأشهدنا
بوحدانيته فأقرنا جميعنا فميز الله الرسل والأنبياء والأوصياء وبقية العباد، ثم
ميز سبحانه محمد (صلى الله عليه وآله) على سائر الخلق كونه السابق بالتلبية لله الواحد الأحد،
يروى أنه (أتاه ابن الكواء فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الله تبارك وتعالى هل
كلم أحدا من ولد آدم قبل موسى؟ فقال علي (عليه السلام): قد كلم الله جميع خلقه برهم
وفاجرهم، وردوا عليه الجواب، فثقل ذلك على ابن الكواء ولم يعرفه، فقال له:

(١) الاحتجاج الشيخ الطبرسي، ج ١، ص ١٣٣..

(٢) بحار الانوار العلامة المجلسي، ج ١٥، ص ١٣، ح ٢١.

كيف كان ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال له: أو ما تقرأ كتاب الله اذ يقول لنبيه:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾^(١)، فقد أسمعهم كلامه وردوا عليه الجواب كما تسمع في قول الله يابن الكواء (قالوا بلى) فقال لهم: إني أنا الله لا إله إلا أنا وأنا الرحمن الرحيم - فأقروا له بالطاعة والربوبية، وميز الرسل والأنبياء والأوصياء، وأمر الخلق بطاعتهم فأقروا بذلك في الميثاق، فقالت الملائكة عند إقرارهم بذلك: شهدنا عليكم يا بني آدم أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين^(٢).

ظاهر الرواية تبين أن جميع الناس أقروا لله بالربوبية وللأنبياء والحجج بالطاعة ولكن الله بعلمه علم ان أكثر الناس أقروا بالظاهر ولكنهم اخفوا ما كانوا يضمرون لذا اشهد عليهم الملائكة، ومن كلام للإمام يوضح فيه ان العباد بدلوا ذلك العهد المأخوذ منهم في السابق قوله ﷺ:

«لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ وَاتَّخَذُوا الْإِنْدَادَ مَعَهُ».

(والمراد بعهد الله هنا ميثاق الفطرة الذي أشار اليه الإمام ﷺ بقوله:

«ليستأدوهم ميثاق فطرته»^(٣). فذلك العهد الذي أخذ منهم هو حجة عليهم يوم القيامة، فمن بقي ووفى بعهده سيدخله الله فسيح جناته، أما من بدل وكفر بعد ذلك سيعذبه الله عذابا أليما.

(١) الأعراف: ١٧٢.

(٢) تفسير العياشي، ج ٢، ص ٤٢..

(٣) في ظلال نهج البلاغة، ج ١، ص ٥٨.

المسألة الثانية

(اختياره من مشكاة الضياء وذوابة العلياء وسرة البطحاء)

أولاً: قوله ﷺ:

«وَمَشْكَاتِ الضِّيَاءِ».

جاء في لسان العرب، المشكاة: الكوة غير النافذة^(١)، فمن بين الأنوار الساطعة والشهب اللامعة اختاره الله لكرائم رسالاته.

قال الشارح البحراني: (استعار ﷺ لفظة المشكاة لآل إبراهيم، ووجه المشابهة أنّ هؤلاء قد ظهرت منهم الأنبياء وسطع من بيتهم ضياء النبوة ونور الهداية كما يظهر من نور المصباح من المشكاة)^(٢).

وفي التنزيل قال تعالى:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥) فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبَّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾^(٣).

جاء في تفسير الصافي ((في بيوت) أي: كمشكاة في بعض بيوت، أو توقد

(١) لسان العرب - ابن منظور / ج ١٤ ص ٤٤١

(٢) شرح نهج البلاغة ابن ميثم البحراني، ج ٣، ص ٣٩.

(٣) النور: ٣٥ - ٣٦.

في بيوت. قال: (هي بيوت النبي). وفي رواية: (هي بيوت الأنبياء والرسول والحكماء وأئمة الهدى) (١).

وتشبيه الأنبياء بالمشكاة إذ أنهم حفظوا نور الله كما تحفظ هذه المشكاة النار من الريح ثم اختاره (صلوات الله وسلامه عليه) من بين حفظة الوحي كي يكمل الدين ويتمم النعم به، ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها اصطفاء الله لأنبيائه عامة ولرسوله خاصة قال عليه السلام:

«... وَاِصْطَفَىٰ سُبْحَانَہٗ مِنْ وَلَدِہٖ اَنْبِیَآءَ، اَخَذَ عَلَی الْوَحْیِ مِثَاقَهُمْ، وَعَلَی تَبْلِیغِ الرِّسَالَةِ اَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ اَكْثَرَ خَلْقِہٖ عَهْدَ اللّٰهِ اِلَيْهِمْ... وَلَمْ يُجَلِّ اللّٰهُ سُبْحَانَہٗ خَلْقَہٗ مِنْ نَبِیٍّ مُّرْسَلٍ، اَوْ كِتَابٍ مُّنْزَلٍ اَوْ حُجَّةٍ لَّازِمَةٍ اَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ، رُسُلٌ لَا تُقْصَرُ بِهِمْ قَلَّةٌ عَدَدِهِمْ، وَلَا كَثْرَةُ الْمُكْذِبِينَ لَهُمْ، مِنْ سَابِقِ سُمِّيَ لَہٗ مَنْ بَعْدَہٗ اَوْ غَابِرِ عَرَفَہٗ مَنْ قَبْلَہٗ عَلَی ذٰلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ وَمَضَتِ الدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الْاَبَاءُ وَخَلَفَتِ الْاَبْنَاءُ اِلٰی اَنْ بَعَثَ اللّٰهُ سُبْحَانَہٗ مُحَمَّدًا، رَسُوْلَ اللّٰهِ صلى الله عليه وآله وسلم لِاِنْجَازِ عِدَّتِہٖ وَاِتْمَامِ نُبُوَّتِہٖ» (٢).

النبوة كرامة من الله يهبها الله لأحب خلقه، فكان محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم رسله وأمين وحيه وتمام رسالاته اصطفاه الله على سائر خلقه وجعله سيد الرسل وخاتمهم، فحلال محمد حلال إلى يوم القيامة، وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة.

روي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (أن جبريل حدثه قال: مضى من الدنيا ستة آلاف سنة وسبعمئة سنة قال وكل قطرة مطر تنزل من السماء موكل بها ملك من الملائكة يضعها موضعها قال ونبا في الأرض من الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرين وأربعين ألفا وثلاثمائة من المرسلين حتى جاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الأنبياء

(١) التفسير الأصفى، الفيض الكاشاني، ج ٢، ص ٨٤٩..

(٢) نهج البلاغة الخطبة الأولى. ص ٤٣.

لا نبي بعده^(١).

ثانياً: قوله ﷺ:

«وذؤابة العلياء».

تستعار الذؤابة للعز والشرف والمرتبة^(٢)، فمن بين أهل العز والشرف اختاره سبحانه، فأى مجد هذا وأي مكرمة ودرجة نالها نبي الرحمة حتى صار حبيب الله ونجييه وصفيه.

ولمن أراد أن يعرف عظيم منزلته وعظيم قدره (صلوات الله وسلامه عليه) عند الله فليطلع على حياة الأنبياء وما وصلوا له من مجد، كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ﷺ فهؤلاء الأطهار أطاعوا الله حق طاعته وعملوا بأمره وبلغوا رسالته فصاروا من أولي العزم الذين فضلهم الله على سائر الرسل فذاك خليل الله وذاك كليم الله وذاك روح الله؛ فالنبي الأكرم ﷺ لم يسبق أناساً عاديين بل سبق العليين من الأنبياء والمرسلين والحجج الصالحين.

وكان لأبائه (صلوات الله وسلامه عليهم) مجد عريق وهم أهل السيادة والرياسة والسقاية والسدانة، فلا يوجد بالعرب أكرم وأطهر وأقدس من بني هاشم، فسبحانه وتعالى اختاره من بين هؤلاء الطاهرين، فالحديث عن هذه الشخصية العظيمة رغم وضوحها صعب، إذ لا يدرك النبي إلا الله وعلي ﷺ ولا يعرف فضله سوى الله ووصيه.

ثالثاً: قوله ﷺ:

«وَسُرَّةَ الْبَطْحَاءِ».

(١) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر - ج ١ ص ٢٨.

(٢) ينظر، لسان العرب، ج ١، ص ٣٧٩.

قال السيد محمد الحسيني الشيرازي: (البطحاء الأرض المستوية والمراد هنا مكة والسرة يراد بها الوسط أي انه عليه السلام من أفضل بيت في مكة) (١).

كما ان الله سبحانه اختاره من بين الأنبياء والرسل فقد اختاره سبحانه من بين أهالي مكة؛ فمكة فيها أفضل البيوت منهم هاشم وعبد المطلب وأبو طالب وحمزة وجعفر فهؤلاء الطيبون لهم فضلهم ومكانتهم عند الله فهم سادات البرايا، فمن بين الأطائب اختاره سبحانه ان يكون سيدهم وقائدهم.

قال عليه السلام: «سادة أهل محشر، سادة أهل الدنيا: أنا وعلي وحسن وحسين وحمزة وجعفر» (٢).

وهذه الرواية توضح عظيم منزلتهم وأنهم أمراء الخلق وليس في مشارق الأرض ومغارها بيت أفضل من هذه البيوت الطاهرة.

وخطب أبو طالب عليه السلام لما تزوج النبي عليه السلام بخديجة بنت خويلد فقال: «الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم الخليل ومن ذرية الصفي وضئى معد وعنصر مضر^(٣)، وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل مسكننا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوازن برجل من قريش إلا رجح به ولا يقاس بأحد منهم إلا عظم عنه وإن كان في المال مقلا فإن المال ورق حائل وظل زائل، وله والله خطب عظيم ونبا شائع، وله رغبة في خديجة ولها فيه رغبة فزوجوه، والصداق ما سألتموه من مالي عاجله وآجله، فقال خويلد: زوجناه ورضينا به» (٤).

(١) توضيح نهج البلاغة، السيد محمد الحسيني الشيرازي، ج ٢، هامش، ص ١٦٥.

(٢) المصدر نفسه - ج ٧ ص ٦٤.

(٣) أي من أصلهم، تاج العروس، ج ١، ص ١٩٤.

(٤) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ١، ص ٣٩.

المسألة الثالثة

(اختياره من بين أهل النور والحكمة)

أولاً: قوله عليه السلام:

«وَمَصَابِيحُ الظُّلْمَةِ».

لا تزال الدنيا في ظلمات الجهل حتى يبعث الله أحد أنبيائه ليضيء به الدنيا، فهؤلاء الطيبون هم نور الله في أرضه لذا شبههم عليه السلام بالمصابيح، فكما أن المصباح يضيء ويهدي الناس إلى الطريق، كذلك الأنبياء والأولياء يهدون الناس إلى الحق، فهم نجوم الأرض.

روي عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن قول الله عز وجل:

«اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ» فقال: هو

مثل ضربه الله لنا، فالنبي عليه السلام والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين من دلالات الله وآياته التي يهتدى بها إلى التوحيد ومصالح الدين وشرائع الإسلام والفرائض والسنن، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم^(١).

ولكي نعرف أهمية هذا المبعوث يجب علينا أن نطلع على أحوال العرب قبل مبعثه، فالناس قبل البعثة كانوا يعيشون بظلمات الجهل فلا يوجد مرشد يرشدهم وقد وصف أمير المؤمنين عليه السلام حال الدنيا قبل مبعثه (صلوات الله وسلامه عليه) كيف كانت كاسفة عابسة في وجه طالبها بلا ماء ولا طعام صالح. قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَطَوَّلَ هَجْعَةً مِنَ الْأُمَمِ، وَاعْتَزَامَ مِنْ

(١) التوحيد، الشيخ الصدوق، ص ١٥٧.

الْفِتْنِ، وَأَنْتَشَارٍ مِنَ الْأُمُورِ، وَتَلَطُّ مِنَ الْحُرُوبِ، وَالدُّنْيَا كَاسِفَةٌ النَّوْرِ، ظَاهِرَةٌ
الْغُرُورِ عَلَى حِينِ اصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا، وَإِيَّاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا، وَاغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا،
قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الْهُدَى، وَظَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَى، فَهِيَ مُتَجَهَّمَةٌ لِأَهْلِهَا، عَابِسَةٌ
فِي وَجْهِ طَالِبِهَا، ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ، وَطَعَامُهَا الْجِيفَةُ، وَشِعَارُهَا الْخَوْفُ، وَدِتَارُهَا
السَّيْفُ» (١).

يروى في تاريخ الطبري أن المغيرة بن شعبة قال ليزدجر: (..فأما ما ذكرت
من سوء الحال فما كان أسوأ حالا منا وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع كنا
نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات فنرى ذلك طعامنا وأما المنازل
فإنما هي ظهر الأرض ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم ديننا
أن يقتل بعضنا بعضا ويغير بعضنا على بعض وإن كان أحدنا ليدفن ابنته وهي
حية كراهية أن تأكل من طعامنا فكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت لك،
فبعث الله إلينا رجلا معروفا نعرف نسبه ونعرف وجهه ومولده فأرضه خير
أرضنا وحسبه خير أحسابنا وبيته أعظم بيوتنا وقبيلته خير قبيلتنا وهو بنفسه
كان خيرنا في الحال التي كان فيها أصدقنا وأحلمنا) (٢).

منذ ان رفع عيسى عليه السلام إلى السماء لم يبعث الله نبياً حتى بُعث هذا النبي العربي
فكان كالسراج المنير فمن نوره ازدانت الدنيا وظهر العدل، قال أمير المؤمنين عليه السلام
في بعض خطبه واصفا فيها نبي الرحمة:

«سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ وَشَهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ وَزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ سِيرَتُهُ الْقَصْدُ، وَسُنَّتُهُ
الرُّشْدُ وَكَلَامُهُ الْفَضْلُ وَحُكْمُهُ الْعَدْلُ، أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَهَفْوَةِ

(١) نهج البلاغة الخطبة: ٨٩.

(٢) تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، ج ٣، ص ١٨.

عَنِ الْعَمَلِ وَعِبَاوَةٍ مِنَ الْأُمَّمِ» (١).

قال السيد الهاشمي: (شبهه ﷺ بالسراج والشهاب والزند في كونه سبب هداية الخلق كما أنّ هذه الثلاثة كذلك، ورشح التشبيه الأول بلمعان الضوء، والثاني بارتفاع النور، والثالث ببروق اللّمع، ويحتمل أن يكون وجه الشبه في الثالث إثارة أنوار الهداية) (٢).

وعنه ﷺ في وصف النبي ايضاً:

«حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ الْقَابِسِ، وَأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْحَابِطِ، وَهُدَيْتَ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَالْآثَامِ، وَأَقَامَ بِمُوضِحَاتِ الْأَعْلَامِ وَنَيِّرَاتِ الْأَحْكَامِ».

قال ابن منظور: (القَبَسُ النار والقَبَسُ الشُّعْلَةُ من النار وفي التهذيب القَبَسُ شُعْلَةٌ من نار تَقْتَبَسُهَا من مُعْظَمِ واقتباسها الأخذ منها وقوله تعالى: {بشهاب قَبَسٍ} القَبَسُ الجذوة وهي النار التي تأخذها في طَرْفِ عُودٍ وفي حديث عليّ (رضوان الله عليه) (حتى أَوْرَى قَبَساً لِقَابِسٍ) أي أظهر نُوراً من الحق لطالبه) (٣).

(الخابط) الذي يتخبط وكأنه في ظلمات لا يكاد يرى شيئاً وقد ضرب لنا الله ذلك في قوله:

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ

(١) الخطبة: ٩٤، منها في وصف رسول الله واهل بيته.

(٢) منهاج البراعة، حبيب الله الخوئي الهاشمي، ج٧، ص١١١.

(٣) لسان العرب، ج٦، ص٦١.

نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ»^(١).

فالنبي محمد ﷺ كالشعلة أضواء لهؤلاء المتخبطين، إذ نصب لهم علامات ودلائل يهتدون بها الطريق الصحيح قال تعالى:

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾^(٢).

ثانياً: قوله ﷺ:

«وَيَنَابِعِ الْحِكْمَةِ».

فكل الأنبياء والأوصياء والصديقين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) كانوا حكماء علماء قضاة، وهؤلاء الصفوة منهم تتفجر الحكمة كما يتفجر الماء من ينبوعه، قال تعالى:

﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾^(٣).

عن الإمام الباقر ﷺ قال:

«... إنها الحجة في آل إبراهيم ﷺ لقول الله عز وجل:

﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾^(٤)، فالحجة

الأنبياء ﷺ وأهل بيوتات الأنبياء ﷺ حتى تقوم الساعة، لأن كتاب الله ينطق بذلك ووصية الله جرت بذلك في العقب من البيوت بعضها من التي رفعها تبارك وتعالى على الناس فقال:

(١) النور: ٤٠.

(٢) المائدة: ١٥.

(٣) النساء: ٥٤.

(٤) النساء: ٥٤.

﴿ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾^(١)، وهي بيوت الأنبياء والرسل والحكماء وأئمة الهدى^(٢).

والحكمة كما وصفها لنا الإمام الصادق^(عليه السلام):

«.. ضياء المعرفة وميزان التقوى وثمره الصدق، ولو قلت ما أنعم الله على عباده بنعمة أنعم وأعظم وأرفع وأجزل وأبهى من الحكمة، لقلت قال الله عز وجل: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٣)،^(٤).

وقد ورد عن النبي محمد^(صلى الله عليه وآله) في بعض الأخبار:

«ان الله تعالى آتاني القرآن وآتاني من الحكمة مثل القرآن وما من بيت ليس فيه شيء من الحكمة الا كان خرابا»^(٥).

والعلة في اختياره سبحانه لهؤلاء الحكماء كي يدبروا أمر الرعية ويرشدونه إلى ما هو أصح وأنصح لهم، قال النبي محمد^(صلى الله عليه وآله):

«قال الغلمان ليحيى بن زكريا: اذهب بنا نلعب، فقال يحيى: ما للعب خلقنا! اذهبوا نصلي، فهو قول الله:

﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(٦).

(١) النور: ٣٦.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٨، ص ١١٩.

(٣) البقرة: ٢٦٩.

(٤) مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، المنسوب للإمام الصادق^(عليه السلام)، ص ١٩٨.

(٥) التفسير الصافي، ج ١، ص ٢٩٩.

(٦) العلم والحكمة في الكتاب والسنة، محمد الريشهري، ص ٤٣١.

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«سأل داود النبي سليمان عليه السلام وأراد علم ما بلغ من الحكمة، قال: يا بني أخبرني أي شيء أبرد؟ قال: عفو الله عن الناس، وعفو الناس بعضهم عن بعض لا شيء أبرد منه، قال: فأأي شيء أحلى؟ قال: المحبة، هي روح الله بين عباده حتى أن الفرس ليرفع حافره عن ولده، فضحك داود عند إجابة سليمان عليه السلام.

والنبي فاق هؤلاء الحكماء فهماً وعلماً وكيف لا يكون أحكم الخلق وهو الذي فتح لعلي ألف باب من العلم من كل باب يفتح ألف باب، حتى صار أمير المؤمنين أعلم الخلق بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«بعثني رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) إلى اليمن قاضياً فقلت: يا رسول الله إنك ترسلني إلى قوم يسألونني ولا علم لي بالقضاء فوضع يده على صدري وقال إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك، فإذا قعد الخصمان بين يديك فلا تقض حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء فما زلت قاضياً أو ما شككت في قضاء بعد»^(١).

وسبحانه وتعالى حينما آتاهم الحكمة ذلك لما لهم من صفات تميزهم عن سائر الخلق فلا يكون الإنسان حكيماً إلا وفيه الكثير من الخير، فعن حماد بن عيسى قال:

«سألت أبا عبد الله عليه السلام عن لقمان وحكمته، فقال: اما والله ما أوتي الحكمة لحسب ولا أهل ولا مال ولا بسطة في الجسم ولا جمال، ولكنه كان رجلاً قويا في امر الله، متورعا في دينه، ساكتا سكيناً، عميق النظر، طويل التفكير، حديد البصر،

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج ٢، ص ٣٣٧.

لم ينم نهارا قط، ولم ينم في محفل قوم قط، ولم ينقل في مجلس قط ولم يعب أحدا بشيء قط، ولم يره أحد من الناس على بول ولا غائط قط، ولا اغتسال، لشدة تستره وعمق نظره وتحفظ لذنوبه، ولم يضحك من شيء قط، ولم يغضب قط مخافة الاثم في دينه، ولم يمازح إنسانا قط، ولم يفرح لشيء أوتيته من الدنيا، ولا حزن على ما فاته منها قط، وقد نكح النساء وولد له الأولاد الكثيرة وقدم أكثرهم افراطا له، فما بكى عند موت واحد منهم، ولم يمر برجلين يختصمان أو يقتتلان الا أصلح بينهما، ولم يسمع قولاً من أحد استحسنه إلا سأل عن تفسيره وخبره عن اخذه. وكان يكثر مجالسه الحكماء والاختلاف إلى أهلها، ويتواضع لهم ويغشى القضاة والملوك والسلاطين، فيرثي للقضاة بما ابتلوا به، ويرحم الملوك والسلاطين لعدتهم واغترارهم بالله وطمأنينتهم إلى الدنيا وميلهم إليها وإلى زهرتها، فيتفكر في ذلك ويعتبر به ويتسلم ما يغلب به نفسه ويجاهد به هواه ويحترز به من الشيطان، وكان يداري نفسه بالعبر وكان لا يظعن الا فيما ينفعه، ولا ينطق الا فيما يعنيه فبذلك اوتى الحكمة ومنح العصمة. .. وكان لقمان يكثر زيارة داود عليه السلام وكان داود يقول: يا لقمان أوتيت الحكمة وصرفت عنك البلية»^(١).

فإن كان لقمان بهذه الصفات الطيبة فكيف بنبي الرحمة وهو الجامع لجميع الفضائل والمكرامات التي حوتها الرسل لذا صار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحكم الناس.

(١) قصص الأنبياء، قطب الدين الراوندي، ص ١٩٤ - ١٩٦.

المبحث الثاني

خير البرية طفلاً وكهلاً وأجود أهل الأرض

قوله عليه السلام:

«خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلاً، وَأَنْجَبَهَا كَهْلاً، وَأَطْهَرَ الْمُطَهَّرِينَ شِيَمَةً، وَأَجْوَدَ الْمُسْتَمَطَّرِينَ دِيَمَةً» (١).

المسألة الأولى

المولود العظيم

قال عليه السلام:

«خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلاً».

فرسول الله صلى الله عليه وآله منذ طفولته هو خير خلق الله وهذا دليل على انه ليس كسائر الناس من حيث الفهم والادراك والطهارة، وقبل أن يبعثه سبحانه إلى الخلق كان الأنبياء والرسل عليهم السلام يبشرون به، قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (٢).

(١) نهج البلاغة، من الخطبة ١٠٥، ص ١٥١.

(٢) الصف: ٦.

وما من نبي إلا وبشر به وحدث عنه، وإن الله سبحانه قد أخذ الميثاق من جميع الأنبياء والرسل في تلك العوالم التي سبقت عالم الدنيا، أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً خاتم الرسل وسيد الخلائق من الأولين والآخرين، فكل هذه دلائل على أنه خير البرية وانه سيد الأولين والآخرين منذ الأزل.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في بعض خطبه:

«.. إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا، رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِإِنْجَازِ عِدَّتِهِ وَإِمْتَامِ نُبُوَّتِهِ، مَاخُودًا عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُ، مَشْهُورَةً سَمَاتِهِ كَرِيماً مِيلَادُهُ» (١).

قوله (عليه السلام):

«مَاخُودًا عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُ».

جاء في تفسير مجمع البيان، روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وابن عباس وقتادة: (إن الله أخذ ميثاقاً على الأنبياء قبل نبينا ﷺ، أن يخبروا أمهم بمبعثه ونعته، ويبشروهم به، ويأمرهم بتصديقه) (٢).

وقوله (عليه السلام):

«مَشْهُورَةً سَمَاتِهِ».

السمة: العلامة (٣)، فكان أهل الكتاب يعرفون العلامات في مولده ويعرفون سماته، فهذا المولود مشهور ومذكور في كتبهم قبل ان يولد لذا كانوا يترقبون مولده الكريم، قال تعالى:

(١) نهج البلاغة، الخطبة الأولى، ص ٤٤.

(٢) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ج ٢، ص ٣٣٤.

(٣) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ج ١، ص ١٨.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١).

قال أبو حمزة الشامي: (لما قدم النبي ﷺ المدينة، قال عمر لعبد الله بن سلام: إن الله تعالى أنزل على نبيه ﷺ ان أهل الكتاب: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾، كيف هذه المعرفة؟ قال عبد الله بن سلام: نعرف نبي الله بالنعته الذي نعته الله إذا رأيناه فيكم، كما يعرف أحدنا ابنه إذا رآه بين الغلمان، وأيم الله الذي يحلف به ابن سلام، لأننا بمحمد أشد معرفة مني بابني! فقال له: كيف؟ قال عبد الله: عرفته بما نعته الله لنا في كتابنا، فأشهد أنه هو، فأما ابني فإني لا أدري ما أحدثت أمه، فقال: قد وفقت، وصدقت، وأصبت) (٢).

والنبي الأكرم ﷺ منذ طفولته وهو مختلف عن الناس بالكثير من الصفات والمزايا الحسنة.

قال الواقدي: قالت حليلة والله ما غسلت لمحمد ﷺ ثوبا من بول ولا غائط بل كان إذا جاء وقت حاجته ينقلب من جنب إلى جنب حتى تعلم حليلة بذلك وتأخذه وتخدمه حتى يقضي حاجته ولا شممت ورب السماء من محمد رائحة نتنة قط ولا شممت منه شيئا أبدا بل كان يفوح منه رائحة المسك والكافور قالت حليلة فلما أتى على النبي ﷺ تسعة أشهر ما رأيت ما يخرج منه البتة لأن الأرض تبتلع ما يخرج منه فلماذا لم أر.

(قال الواقدي) وكان من حليلة ان تحمل محمدا ﷺ حين كملت له عشرة أشهر فقامت حليلة يوم الخميس وقعدت على باب الخيمة منتظرة لانتباه

(١) البقرة: ١٤٦.

(٢) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ج ٤، ص ٢٣.

النبي ﷺ لتزينه وتحمله إلى جده عبد المطلب، قال فلم ينتبه النبي ﷺ وأبطأ عن الخروج عن الخيمة إلى حليمة فلم يخرج إلا بعد أربع ساعات فخرج رسول الله ﷺ مغسول الرأس مسرح الذوائب وقد زرق جبينه وذقنه وعليه ألوان الثياب من السندس والإستبرق، فتعجبت حليمة من زينة النبي ﷺ ومن لباسه مما رأت عليه فقالت يا ولدي من أين لك هذه الثياب الفاخرة والزينة الكاملة؟ فقال لها محمد ﷺ: أما الثياب فمن الجنة وأما الزينة فمن أفعال الملائكة، قال فتعجبت حليمة من ذلك عجباً شديداً ثم حملته إلى عند جده في يوم الجمعة فلما نظر إليه عبد المطلب قام إليه واعتنقه وأخذه إلى حجره، فقال يا ولدي من أين لك هذه الثياب الفاخرة والزينة الكاملة؟ فقال له النبي ﷺ يا جد فاستخبر ذلك من حليمة فكلمته حليمة وقالت ليس ذلك من أفعالنا فأمر عبد المطلب حليمة ان تكتم ذلك وأمر لها بألف درهم بيض وعشرة دسوت ثياب وجارية رومية فخرجت حليمة من عنده فرحة مسرورة إلى حيتها^(١).

وقوله ﷺ:

«كَرِيماً مَيْلَاذُهُ».

لم يأت مولود أكرم من هذا المولود اطلاقاً، وقد خصه الله بكرامات كثيرة، وكان يوم مولده أعظم يوم شهده العالم، فعن أبان بن عثمان رفعه بإسناده قال: (لما بلغ عبد الله بن عبد المطلب زوجه عبد المطلب آمنة بنت وهب الزهري فلما تزوج بها حملت برسول الله ﷺ فروي عنها أنها قالت: لما حملت به لم أشعر بالحمل ولم يصبني ما يصيب النساء من ثقل الحمل، فرأيت في نومي كأن آت أتاني فقال لي: قد حملت بخير الأنام، فلما حان وقت الولادة خف علي ذلك حتى

(١) الفضائل، شاذان بن جبرئيل القمي (ابن شاذان)، ص ٢٩ - ٣٠.

وضعته، وهو يتقي الأرض بيده وركبتيه، وسمعت قائلاً يقول: وضعت خير البشر فعوذيته بالواحد الصمد من شر كل باغ وحاسد، «فولد رسول الله ﷺ عام الفيل لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول يوم الاثنين»، فقالت آمنة: لما سقط إلى الأرض اتقى الأرض بيديه وركبتيه ورفع رأسه إلى السماء، وخرج مني نور أضواء ما بين السماء والأرض، ورميت الشياطين بالنجوم وحجبوا عن السماء...»^(١).

فرسول الله حجة الخلائق مذ كان نورا في العرش، وقبل ان يولد النبي الأكرم ﷺ كان نبياً، ويؤيد ذلك قوله ﷺ:
«كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»^(٢).
وكذلك قول الولي عليه السلام:

«كنت ولياً وآدم بين الماء والطين»^(٣). فكلاهما من نور واحد.

ولمن أراد أن يعرف عظيم منزلة النبي ومكانته عند الله يكفي حديث الكساء فهو خير شاهد على ان الله لم يخلق هذا الخلق إلا لأجله وأهل بيته.

(١) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص ١٩٦، ح ٣٩.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ١، ص ١٨٣، وروي في البحار عنه ﷺ: «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين» أو «بين الروح والجسد»، بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ١٨، ص ٢٧٨، وفي كنز العمال، ج ١١، ص ٤٠٩، (كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد). وفي القمي: (وعن الاصبغ انه سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن قول الله عز وجل: سبح اسم ربك الاعلى، فقال: مكتوب على قائمة العرش قبل أن يخلق الله السماوات والأرضين بألفي عام «لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فاشهدوا بها وأن عليا وصي محمد ﷺ»).

(٣) تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، السيد حيدر الأملي،

وكان لمولده ﷺ أثر كبير في الهداية التكوينية^(١)، فقد روي في الأمالي، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: (كان إبليس (لعنه الله) يخترق السماوات السبع، فلما ولد عيسى عليه السلام حجب عن ثلاث سماوات، وكان يخترق أربع سماوات، فلما ولد رسول الله ﷺ حجب عن السبع كلها، ورميت الشياطين بالنجوم... وقالت آمنة: إن ابني والله سقط فاتقى الأرض بيده، ثم رفع رأسه إلى السماء فنظر إليها، ثم خرج مني نور أضواء له كل شيء، وسمعت في الضوء قائلاً يقول: إنك قد ولدت سيد الناس، فسميه محمداً، وأتى به عبد المطلب لينظر إليه وقد بلغه ما قالت أمه، فأخذ فوضعه في حجره، ثم قال:

الحمد لله الذي أعطاني

هذا الغلام الطيب الأردان

قد ساد في المهد على الغلمان..)^(٢).

المسألة الثانية

(انتجابه من بين أهل الطهر والخلق الحسن)

أولاً: قوله عليه السلام:

«وَأَنْجَبَهَا كَهَلًا».

جاء في اللغة: (النَّجِيبُ: الفاضل الكَرِيم السَّخِيَّ، ومنه حديث ابن مسعود:

(١) وهي التي تتعلق بالأمر التكوينية كهدايته كل نوع من أنواع المصنوعات إلى كماله الذي خلق لأجله وإلى أفعاله التي كتبت له، وهدايته كل شخص من أشخاص الخليقة إلى الأمر المقدر له والأجل المضروب لوجوده قال تعالى: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (طه: ٥٠) وقال: {الذي خلق فسوى * والذي قدر فهدى}. تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج ٧، ص ٣٤٦.

(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ٢٦٠ - ٢٦٢.

الأنعام من نجائب القرآن، أو نواجب القرآن أي من أفاضل سوره، والنَّجِيبُ من الرجال الكريم الحسيب، والمُنْتَجَبُ: المختار من كل شيء؛ وقد اُنْتَجَبَ فلانٌ فلاناً إذا اسْتَخْلَصَه، واصْطَفاه اختياراً على غيره^(١).

والكَهْلُ في اللغة: (الرجل إذا وَخَطَه الشيب ورأيت له بَجالةً، وفي الصحاح: الكَهْلُ من الرجال الذي جاوز الثلاثين ووَخَطَه الشيب)^(٢).

كما كان رسول الله ﷺ مميّزاً ومختلفاً عن سائر الناس في طفولته، فقد كان موصوفاً بالصدق والأمانة وجميع الخصال الطيبة في كهولته، وكان (صلوات الله وسلامه عليه) يلقب بالصادق الأمين بشهادة قريش.

جاء في السيرة النبوية: (إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها، كل قبيلة تجمع على حدة، ثم بنوها، حتى بلغ البنيان موضع الركن، فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتى تحاوروا وتحالفوا وأعدوا للقتال، فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة، فسموا «لعقة الدم» فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسا، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا وتناصفوا، فزعم بعض أهل الرواية: أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم - وكان عامئذ أسن قريش كلها - قال: يا معشر قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه، ففعلوا، فكان أول داخل عليهم رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم)، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، رضينا، هذا محمد، فلما انتهى

(١) لسان العرب، ج٤، ص٧٤٨.

(٢) لسان العرب، ج١١، ص٦٠٠.

إليهم وأخبروه الخبر، قال (صلى الله عليه وآله وسلم): هلم إلي ثوبا، فأتي به، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعا، ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده، ثم بنى عليه، وكانت قريش تسمي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قبل أن ينزل عليه الوحي «الأمين»^(١).

وقد جمع سبحانه في رسوله ﷺ جميع خصال الأنبياء وقد زاده الله عليهم فضلا وشرفاً إذ كان (صلوات الله وسلامه عليه) عابداً زاهداً صادقاً نقياً تقياً عاقلاً فصيحاً نبياً أميناً جواداً كريماً صبوراً شكوراً غيوراً فاضلاً. وكان (صلوات الله وسلامه عليه) يتيماً فقيراً ضعيفاً وحيداً غريباً كثير الأعداء، ومع ذلك ارتفع شأنه فدل على نبوته، وكان البدوي يرى وجهه الكريم فيقول والله ما هذا وجه كذاب، وكان ثابتاً في الشدائد وهو مطلوب، وصابراً على البأساء والضراء وهو مكروب محروب، فثبت له الملك^(٢).

ثانياً: قوله ﷺ:

«وَأَطْهَرَ الْمُطَهَّرِينَ شِيمَةً».

أما طهره (صلوات الله وسلامه عليه) فقد حدث سبحانه عن ذلك في آية التطهير بقوله:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٣)،

(١) السيرة النبوية، ابن هشام الحميري، ج ١، ص ١٢٧.

(٢) ينظر: مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ١، ص ١٠٧.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

وهذه الآية خاصة برسول الله وعلي وفاطمة والحسين (١).

قال النبي ﷺ:

«إنا [أول] أهل بيت قد أذهب الله عنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن» (٢).

وأما الشَّيْمَةُ: تعني الخُلُقُ، والطبيعة (٣).

إن أحب العباد إلى الله أحسنهم خُلُقًا، وبما أن النبي ﷺ صاحب الخلق العظيم فقد صار رسول الله ﷺ حبيب الله، وخاتم رسله وسيد ولد آدم من الأولين والآخرين، وكان (صلوات الله عليه) يقول: (إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار) (٤).

وقد سمي بصاحب الخلق العظيم ذلك لأنه (صلوات الله وسلامه عليه) كان صاحب خلق مع الله، فعن أبي إسحاق النحوي قال: (دخلت على أبي عبد الله ﷺ فسمعتة يقول: إن الله عز وجل أدب نبيه على محبته فقال:

﴿وَأِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٥)، (٦).

فمن بين أصحاب الخلق اختاره سبحانه كي يتمم به مكارم الأخلاق، عن أبي جعفر ﷺ في قوله تعالى:

(١) ينظر تفسير القمي، ج ٢، ص ١٩٣.

(٢) بحار الأنوار، ج ٣٨، ص ٦٢.

(٣) ينظر لسان العرب، ج ١٢، ص ٣٢٩.

(٤) بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ٣٨٢.

(٥) القلم: ٤.

(٦) الكافي، ج ١، ص ٢٦٥.

﴿وَأَنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١)، يقول على دين عظيم^(٢).

وعلى الرغم من أن جميع الأنبياء (صلوات الله وسلامه عليهم) اتصفوا بهذه الصفة إلا أن الله تعالى لم يخاطب أي نبي بهذا الخطاب إلا حبيبه المصطفى ﷺ فشهادة الله لرسوله بهذا الخلق العظيم تعطيه الأولوية والأسبقية على جميع الخلق بأنه أعظمهم خلقاً وأصبرهم على تحمل الأذى في سبيله.

عن رسول الله ﷺ قال:

«عَلَيْكُمْ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَنِي بِهَا، وَإِنَّ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ أَنْ يَعْفُوَ الرَّجُلُ عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُعْطِيَ مَنْ حَرَمَهُ، وَيَصِلَ مَنْ قَطَعَهُ، وَأَنْ يَعُودَ مَنْ لَا يَعُودُهُ»^(٣).

فالعفو والكرم وصلة الرحم كلها من مكارم أخلاقه ﷺ ولخلقه وعظيم وصفه كانوا يتسابقون على خدمته، فقد لفت النبي أنظار المؤمنين إليه ذلك لخلقه الذي شهد له البارئ عز وجل.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«قَدْ صُرِفَتْ نَحْوُهُ أَفْنِدَةُ الْأَبْرَارِ، وَثُبَيْتٌ إِلَيْهِ أَرْمَةُ الْأَبْصَارِ، دَفَنَ اللَّهُ بِهِ الضَّعَائِنَ، وَأَطْفَأَ بِهِ الشَّوَائِرَ، أَلْفَ بِهِ إِخْوَانًا.. كَلَامُهُ بَيَانٌ، وَصَمْتُهُ لِسَانٌ»^(٤).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام):

«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَصَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، فَاْمْتَحِنُوا

(١) القلم: ٤.

(٢) تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٨٢.

(٣) أمالي الطوسي: ص ٤٧٨، ح ١٠٤٢.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٦، ص ١٤١.

أنفسكم؛ فإن كانت فيكم فاحمدوا الله عز وجل وارغبوا إليه في الزيادة منها، فذكرها عشرة: اليقين، والقناعة، والصبر، والشكر، والحلم، وحسن الخلق، والسخاء، والغيرة، والشجاعة، والمروءة»^(١).

وكما نعته الله في القرآن الكريم وذكر عظيم خلقه فقد ذكره سبحانه في الكتب السماوية السالفة، وكان اليهود يعرفونه من نعته، وهذا الخلق العظيم كان أحد العوامل المؤثرة في هداية الناس، فعن أمير المؤمنين عليه السلام، قال:

«إن يهوديا كان له على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دنانير فتقاضاه، فقال له: يا يهودي، ما عندي ما أعطيك، قال: فإني لا أفارقك - يا محمد - حتى تقضيني، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إذن أجلس معك، فجلس صلى الله عليه وآله وسلم معه حتى صلى في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة، وكان أصحاب رسول الله يتهددونه ويتواعدونه، فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليهم فقال: ما الذي تصنعون به؟ فقالوا: يا رسول الله، يهودي يحبسك! فقال صلى الله عليه وآله وسلم: لم يبعثني ربي عز وجل بأن أظلم معاهدا ولا غيره.

فلما علا النهار قال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وشر ما لي في سبيل الله، أما والله ما فعلت بك الذي فعلت إلا لأنظر إلى نعتك في التوراة، فإني قرأت نعتك في التوراة: محمد بن عبد الله، مولده بمكة، ومهاجره بطيبة، وليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب، ولا متزين بالفحش ولا قول الخنا، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، وهذا مالي فاحكم فيه بما أنزل الله، وكان اليهودي كثير المال»^(٢).

(١) أمالي الصدوق، ص ٢٩٠.

(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ٥٥٢.

وكم من يهودي غير هذا أسلم على يده، فلذلك الخلق صار محمد حبيب الله (١).

(١) وقد جمع بعض العلماء آدابه من خلال الأخبار قالوا: (كان النبي ﷺ أحكم الناس وأحلمهم وأشجعهم وأعدلهم وأعطفهم، لم تمس يده امرأة لا تحل، وأسخى الناس لا يثبت عنده دينار ولا درهم فإن فضل ولم يجد من يعطيه ويجنه الليل لم يأو إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه، لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من يسير ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله، ولا يسأل شيئاً إلا أعطاه ثم يعود إلى قوت عامه فيؤثر منه حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأت شيء، وكان يجلس على الأرض وينام عليها ويأكل عليها، وكان يخصف النعل، ويرقع الثوب، ويفتح الباب، ويحلب الشاة، ويعقل البعير ويحمله، ويطحن مع الخادم إذا أعبأ، ويضع طهوره بالليل بيده ولا يتقدمه مطرق، ولا يجلس متكئاً، ويخدم في مهته أهله، ويقطع اللحم، وإذا جلس على الطعام جلس محقراً، وكان يقطع أصابعه، ولم يتجشأ قط، ويجب دعوة الحر والعبد ولو على ذراع أو كراع ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن ويأكلها ولا يأكل الصدقة، ولا يثبت بصره في وجه أحد، يغضب لربه ولا يغضب لنفسه، وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع، يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد، لا يلبس ثوبين، يلبس برداً حبرة يمنية وشملة جبة صوف والغليظ من القطن والكتان، وأكثر ثيابه البياض ويلبس العمامة تحت العمامة، يلبس القميص من قبل ميامنه، وكان له ثوب للجمعة خاصة، وكان إذا لبس جديداً أعطى خلق ثيابه مسكيناً، وكان له عباء يفرش له حيث ما ينقل ثنئتين، يلبس خاتم فضة في خنصره الأيمن، يحب البطيخ، ويكره الريح الردية ويستاك عند الوضوء، ويردف خلفه عبده أو غيره، ويركب ما أمكنه من فرس أو بغلة أو حمار، ويركب الحمار بلا سرج وعليه العذار، ويمشي راجلاً وحافياً بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة، ويشيع الجنائز ويعود المرضى في أقصى المدينة، يجالس الفقراء ويواكل المساكين ويتأولهم بيده، ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم، ويتألف أهل الشرف بالبر لهم، يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على غيرهم إلا بما أمر الله، ولا يجفو على أحد، يقبل معذرة المعتذر إليه، وكان أكثر الناس تبساً ما لم ينزل عليه قرآن ولم تجر عظة، وربما ضحك من غير قهقهة، لا يرتفع على عبيده وإمائه في مآكل ولا في ملبس، ما شتم أحداً بشتمة ولا لعن امرأة ولا خادماً بلعنة ولا لاموا أحداً إلا قال دعوه، ولا يأتيه أحد حراً وعبداً وأمة إلا قام معه في حاجته، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يغفر ويصفح، ويبدأ من لقيه بالسلام، ومن رآه بحاجة

المسألة الثالثة

(أجود المستمطرين وأدومهم في العطاء)

قوله عليه السلام:

«وَأَجْوَدَ الْمُسْتَمَطَّرِينَ دِيمَةً».

(الجواد بمعنى السخي^(١)، المُسْتَمَطَّر: الطالب للخير والمعروف^(٢))،
الديمة: (المطر الذي ليس فيه رَعْد ولا برق، وسئلت عائشة عن عمل سيدنا
رسول الله صلى الله عليه وآله، وعبادته فقالت: كان عمله ديمَةً؛ الديمة المطر الدائم في سكون،
شَبَّهَتْ عمله في دوامه مع الاقتصاد بديمة المطر الدائم)^(٣).

فرسول الله صلى الله عليه وآله أكرم الأكرمين، عن أنس قال: (ما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً

صابره حتى يكون هو المنصرف، وما أخذ أحد يده فيرسل يده حتى يرسلها وإذا لقي مسلماً بدأه
بالمصافحة، وكان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله، وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا
خفف صلاته وأقبل عليه وقال: ألك حاجة؟ وكان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعاً، وكان
يجلس حيث ينتهي به المجلس، وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة، وكان يكرم من يدخل عليه
حتى ربما بسط ثوبه ويؤثر الداخل بالوسادة التي تحته، وكان في الرضا والغضب لا يقول إلا حقاً،
وكان يأكل القثاء بالرطب والملح، وكان أحب الفواكه الرطبة إليه البطيخ والعنب وأكثر طعامه
الماء والتمر وكان يتمجع اللبن بالتمر ويسميها الأطينين، وكان أحب الطعام إليه اللحم ويأكل
الثريد باللحم، وكان يحب القرع، وكان يأكل لحم الصيد ولا يصيده، وكان يأكل الخبز والسمن،
وكان يحب من الشاة الذراع والكتف ومن القدر الدبا ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة ومن
البقول الهندبا والبادروج والبقلة اللينة، وكان يمزح ولا يقول إلا حقاً) مناقب آل أبي طالب، ابن
شهر آشوب، ج ١، ص ١٢٨.

(١) لسان العرب، ج ٣، ص ١٠٨.

(٢) تاج العروس، الزبيدي، ج ٧، ص ٤٨٧.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ج ١٢، ص ٢١٩.

على الإسلام إلا أعطاه قال فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة»^(١).

قال المازري: معنى فأعطاه غنماً بين جبلين أي غنماً يملأ ما بين جبلين^(٢).
والنبي بشخصه يجسد الإسلام فإن أحبوا صفاته أحبوا الإسلام لذا لم يبعث سبحانه وتعالى نبياً أو وصياً إلا كريماً، والنبي الأكرم فاق الأنبياء سخاءً، لذا كان أقرب الخلق إلى الله.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: يا رسول الله أفي المال حق سوى الزكاة؟ قال: نعم، على المسلم أن يطعم الجائع إذا سأله ويكسو العاري إذا سأله، قال: إنه يخاف أن يكون كاذباً، قال: أفلا يخاف صدقه؟!»^(٣).

ولكي نصل إلى عظيم وصفه (صلوات الله وسلامه عليه) وبيان جوده وكرمه لا بد من ذكر بعض الأنبياء والأولياء الذين اشتهروا بالجود، كي نصل إلى معنى قوله عليه السلام: (وأجود المستمطرين ديمة)، فمن أهل الجود:

نبي الله ابراهيم عليه السلام:

كان نبي الله ابراهيم عليه السلام من أجود الناس وأكرمهم وكان لا يأكل إلا مع ضيف، ولجوده وكرمه كان يلقب أبا الضيفان، فعن عكرمة، قال: (كان إبراهيم يكنى أبا الضيفان وكان لقصره أربعة أبواب)^(٤).

(١) شرح أصول الكافي، ج ١٢، ص ٩٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٣.

(٣) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٢٢٨.

(٤) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر،

وقد جعل (صلوات الله عليه) لقصره أربعة أبواب من كل جهة باب كي لا يفوته الضيف، فمن اعتاد على بذل المال واکرام الضيف لا يستطيع أن يغير هذه العادة، قال رسول الله ﷺ:

«كان أول من أضاف الضيف إبراهيم»^(١).

وروى الفيض الكاشاني: (كان إبراهيم الخليل عليه السلام إذا أراد أن يأكل خرج ميلاً أو ميلين يلتمس من يتغدى معه وكان يكتنى أبا الضيفان ولصدق نيته فيه، دامت ضيافته في مشهده إلى يومنا هذا فلا ينقضي ليله إلا ويأكل عنده جماعة من بين ثلاثة إلى عشرة إلى مائة)^(٢).

وقد حكى سبحانه عن كرمه في كتابه الكريم، قال تعالى:

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾^(٣).

قال الرازي: (وإما لإكرام إبراهيم عليه السلام إياهم، فإن قيل: بماذا أكرمهم؟ قلنا ببشاشة الوجه أولاً، وبالإجلال في أحسن المواضع وألطفها ثانياً، وتعجيل القرى ثالثاً، وبعد التكليف للضيف بالأكل والجلوس وكانوا عدة من الملائكة في قول ثلاثة جبريل وميكائيل وثالث، وفي قول عشرة، وفي آخر اثنا عشر)^(٤). فكرمهم لا يقتصر على الطعام وإنما كانوا كرماء في قولهم وابتسامتهم

(١) سبل الهدى والرشاد، الصالحى الشامى، ج١، ص٣٠٩.

(٢) المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، الفيض الكاشاني، ج٣، ص٣٢.

(٣) الذاريات: ٢٤ - ٢٧.

(٤) تفسير الرازي، فخر الدين الرازي، ج٢٨، ص٢١٠.

وعطائهم، أي أنهم جمعوا الكرم حتى كان عدوهم يشهد لهم بالضيافة وحسن المعاملة.

ومن اجداد النبي الذين امتازوا بالكرم (عمر العلي):

جاء في بحار الأنوار: (هاشم هو عمرو بن عبد مناف، ولقب بذلك لأن قومه أصابتهم مجاعة فبعث عيرا إلى الشام وحملها كعكا ونحر جزورا وطحنها وأطعم الناس الشريد، وقيل في مدح هاشم:

عمرو العلي هشم الشريد لقومه

ورجال مكة مستنون عجاف) (١).

فبنو هاشم امتازوا بالكرم والجود وكانوا يتدئون العطاء قبل ان يُسألوا، وكان السائل يقصدهم في طلب الحاجة دون غيرهم.

عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه، فإن للجود معادن، وللمعادن أصولا، وللأصول فروعا، وللفروع ثمرا، ولا يطيب ثمر إلا بفرع، ولا فرع إلا بأصل، ولا أصل إلا بمعدن طيب» (٢).

ورد باللغة: (المَعْدِنُ مكان كل شيء يكون فيه أصله ومَبْدَؤُهُ نحو مَعْدِنِ الذهب والفضة والأشياء، وفي الحديث: فَعَنُ معادنِ العرب تسألوني؟ قالوا: نعم، أي أصولها التي ينسبون إليها ويتفاخرون بها، وفلان مَعْدِنٌ للخير والكرم إذا جُبِلَ عليهما، على المثل) (٣).

(١) بحار الانوار، العلامة المجلسي، ج٦٣، ص٨٠.

(٢) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج١، ص٤٨٣.

(٣) لسان العرب، ج١٣، ص٢٧٩.

١٠٢ الشجرة النبوية في نهج البلاغة

والمقصود من كلام الإمام الصادق عليه السلام أن الأنبياء وذراري الأنبياء وهذه السلالة الطاهرة خلقوا من معدن أصله الكرم، وقد ورد عن الإمام علي في النهج في وصف النبي محمد عليه السلام أنه قال:

«مَنْبُتُهُ أَشْرَفُ مَنْبُتٍ، فِي مَعَادِنِ الْكِرَامَةِ، وَمَمَاهِدِ السَّلَامَةِ»^(١).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«الثريد طعام العرب، وأول من ثرد الثريد إبراهيم عليه السلام، وأول من هشمه من العرب، هاشم»^(٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«ما منع رسول الله صلى الله عليه وآله سائلا قط، إن كان عنده أعطى، وإلا قال: يأتي الله به»^(٣).

وكان سخاؤه (صلوات الله وسلامه عليه) سببا في هداية الناس، فعن صفوان بن أمية قال: (لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وآله يوم حنين وإنه لمن أبغض الناس إلي فما زال يعطيني حتى أنه لأحب الخلق إلي)^(٤).

والسخاء من أشرف الغرائز ومن خلق الأنبياء والمرسلين وأصحاب اليقين. قال الإمام الصادق عليه السلام:

«السخاء من أخلاق الأنبياء، وهو عماد الإيمان، ولا يكون مؤمن إلا سخيا، ولا يكون سخيا إلا ذو يقين وهمة عالية، لأن السخاء شعاع نور اليقين، ومن

(١) الخطبة: ٩٦.

(٢) دعائم الإسلام، القاضي النعماني المغربي، ج ٢، ص ١١٠.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني،

(٤) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٢٤، ص ١١٦.

عرف ما قصد، هان عليه ما بذل» (١).

والمتيقن بالله لا يخشى الفاقة لذا كان (صلوات الله عليه) يتصدق بكل ما لديه في سبيل الله، وكان ابو طالب سخيا كريما وقد ساد البلاد بكرمه وجوده، وكان يلقب بسيد البطحاء، فرسول الله ﷺ جاء من أكرم المعادن وأجودها وقد اختاره الله من بين هؤلاء الكرام.

في رواية إن إعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ يشكو قلة المطر وقحطاً شديداً فصعد رسول الله ﷺ المنبر وقال: (الحمد لله الذي علا في السماء وكان عالياً، وفي الأرض قريباً دانياً أقرب إلينا من حبل الوريد؟ ورفع يديه إلى السماء وقال: اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً، مريئاً، مريعاً، غدقاً، طبقاً، عاجلاً غير راث، نافعا غير ضار، تملأ به الزرع، وتنبت الزرع، وتحيي به الأرض بعد موتها. فما رد يده إلى نحره حتى أحدق السحاب بالمدينة كالإكليل، والتقت السماء بأرواقها، وجاءه أهل البطاح يضحجون: يا رسول الله، الغرق الغرق، فقال رسول الله ﷺ: اللهم حولينا ولا علينا، فانجاب السحاب عن السماء، فضحك رسول الله ﷺ، وقال: لله در أبي طالب لو كان حيا لقرت عيناه، من ينشدنا قوله؟ فقام عمر بن الخطاب، فقال: عسى أردت، يا رسول الله:

وما حملت من ناقة فوق ظهرها

أبر وأوفى ذمّة من محمد

فقال رسول الله ﷺ:

«ليس هذا من قول أبي طالب، هذا من قول حسان بن ثابت».

فقام علي بن أبي طالب عليه السلام وقال: كأنك أردت، يا رسول الله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

ربيع اليتامى عصمة للأرامل

تلوذ به الهلاك من آل هاشم

فهم عنده في نعمة وفواضل

كذبتهم وبيت الله يبزى محمد

ولما ناصع^(١) دونه ونقاتل

ونسلمه حتى نصرع حوله

ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أجل»^(٢).

(١) المصع: الضرب بالسيف، والمناصعة: المجالدة بالسيف. العين، ج ١، ص ٣١٧.

(٢) الأمالي، الشيخ الطوسي، ص ٧٥ - ٧٦.

الفصل الثالث

أغصان الشجرة النبوية

الفصل الثالث أغصان الشجرة النبوية

المبحث الأول

عترة النبي محمد ﷺ

لكل شجرة فروع وأغصان وثمار، وأغصان هذه الشجرة المباركة وفروعها هم عترة النبي ﷺ، وثمارها العلم، قال رسول الله ﷺ: «... فأنتم قادة الهدى والتقى والشجرة التي أنا أصلها وأنتم فرعها، فمن تمسك بها فقد نجا ومن تخلف عنها فقد هلك وهوى»^(١).

وعترة النبي هم أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وهم علي وفاطمة والحسن والحسين والمعصومون من ذريته (عليهم أفضل الصلاة والسلام)، فهؤلاء الأطهار فاقوا جميع المنازل حتى صاروا سادة الخلائق بعد نبي الرحمة، فهم حجج الله وورثة النبي ومستودع علمه.

المسألة الأولى

(خير العترة)

قوله (عليه السلام): «عِتْرَتُهُ خَيْرُ الْعِتْرِ».

(١) المسترشد، محمد بن جرير الطبري، (الشيعة)، هامش، ص ٦١١.

تكلّمنا في المباحث السابقة عن أسرته وشجرته ﷺ وهنا نتكلّم عن عترته بوصفهم سلالة النبوة ومعدن الوحي والتنزيل.

قال ابن منظور: (عِتْرَةُ الرَّجُلِ أَحْصُ أَقَارِبَهُ، وَالْعِتْرَةُ وَلَدُ الرَّجُلِ وَذَرِيَّتُهُ وَعِقْبُهُ مِنْ صُلْبِهِ، قَالَ: فِعْتْرَةُ النَّبِيِّ، ﷺ، وَوَلَدُ فَاطِمَةَ الْبُتُولِ، ﷺ، وَالْمَشْهُورُ الْمَعْرُوفُ أَنَّ عِتْرَتَهُ أَهْلُ بَيْتِهِ، وَهُمْ الَّذِينَ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الزَّكَاةُ وَالصَّدَقَةُ الْمَفْرُوضَةُ، وَهُمْ ذَوُو الْقُرْبَى الَّذِينَ لَهُمْ خُمُسُ الْخُمْسِ الْمَذْكُورِ فِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ) (١).

وقال الشارح البحراني: (بدء بالعترة لما عرفت أنّها أخص وأقرب من الأسرة، ومصداق أفضليّة عترته قوله ﷺ: سادة أهل المحشر سادة أهل الدنيا أنا وعلي وحسن وحسين وحمزة وجعفر، ووجه أفضليّة أسرته قوله ﷺ: إنّ الله اصطفى من العرب معدا) (٢).

وكما أنّ الشجرة تتفرع وتورق وتثمر وتفيء للناس كذلك أهل بيت النبي، فقد تفرعوا إلى فروع طوال وصارت بيوتهم ملاذ الناس ومأوى للسائل والمحروم.

وفي حديث الكساء الذي يروى عن جابر عن فاطمة ﷺ فيه بيان عظيم منزلتهم، ومضمون حديث الكساء أنّ الله سبحانه لم يخلق الخلق إلا لأجلهم وفي محبتهم فثبت بذلك أنّهم خير خلقه بعد نبيه وخاتم رسله.

وعترة النبي سادة الخلق من الأولين والآخرين، وهم القرآن خط واحد لا يفترقان كما قال رسول الله ﷺ:

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ٤ ص ٥٣٨

(٢) ينظر شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني، ج ٢، ص ٣٩٧.

«إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض» (١).

ومن خطبة له بين فيها فضل العترة قال (عليه السلام):

«... وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةٌ نَبِيِّكُمْ، وَهُمْ أَرْزَمَةُ الْحَقِّ وَأَعْلَامُ الدِّينِ وَالسِّنَّةِ الصِّدْقِ، فَأَنْزَلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ...» (٢).

قال ابن أبي الحديد: (قد بين رسول الله ﷺ عترته من هي، لما قال: (إني تارك فيكم الثقلين)، فقال: (عترتي أهل بيتي)، وبين في مقام آخر مَنْ أهل بيته حيث طرح عليهم كساءً، وقال حين نزلت:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٣):
«اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب الرجس عنهم»، فإن قلت: فمن هي العترة التي عنها أمير المؤمنين (عليه السلام) بهذا الكلام؟ قلت: نفسه وولديه، والأصل في الحقيقة نفسه، لأن ولديه تابعان له، ونسبتها إليه مع وجوده كنسبة الكواكب المضيئة مع طلوع الشمس المشرقة، وقد نبه النبي ﷺ على ذلك بقوله: «وأبوكما خير منكما» (٤).

وعن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٥).

«قال: نزلت هذه الآية في رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب وفاطمة والحسن

(١) وسائل الشيعة (آل البيت) الحر العاملي - ج ٢٧ ص ٣٤.

(٢) الخطبة: ٨٧، ص ١٢٠.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٦، ص ٣٧٥.

(٥) الأحزاب: ٣٣.

١١٠..... الشجرة النبوية في نهج البلاغة

والحسين عليه السلام وذلك في بيت أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليا وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ثم ألبسهم كساءً خبيرياً ودخل معهم فيه ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي الذين وعدتني فيهم ما وعدتني اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» نزلت هذه الآية، فقالت ام سلمة وأنا معهم يا رسول الله؟، قال أبشري يا أم سلمة إنك إلى خير» (١).

كذلك في مباهلتة مع نصارى نجران قد بين رسول الله صلى الله عليه وآله من هم عترته وقد حدث سبحانه وتعالى عن ذلك بقوله:

﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ (٢).

والعتره هم الخاصة من أهل بيته قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَّتِي وَحَامَّتِي لِحَمِّهِمْ لِحَمِي وَدَمِّهِمْ دَمِي» (٣).

فهؤلاء الطيبون خلقوا من جوهر واحد وطينة واحدة لذا خصهم الله دون غيرهم، وهم أهل الحق وأهل الصدق وحديث الثقلين كافٍ في بيان احقيتهم إذ قرنهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرآن، فهما جبل الله الممدود من السماء إلى الأرض.

(١) قال أبو الجارود قال زيد بن علي بن الحسين عليه السلام ان جهالا من الناس يزعمون إنما أراد بهذه الآية أزواج النبي وقد كذبوا وأتموا لو عنى بها أزواج النبي لقال: ليذهب عنكن الرجس ويطهركن تطهيرا، وكان الكلام مؤثنا كما قال واذكرن ما يتلى في بيوتكن ولا تبرجن ولستن كأحد من النساء) تفسير القمي، ج ٢، ص ١٩٣.

(٢) آل عمران: ٦١.

(٣) مفاتيح الجنان (عربي) الشيخ عباس القمي (مترجم: نجفي)، ص ٨٦٩.

وقوله عليه السلام:

«فَأَنْزَلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ» أي كما نعظم القرآن كونه كتاب الله، كذلك علينا تعظيمهم كونهم القرآن الناطق بالحق، وكما أن القرآن:

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(١)، كذلك أهل البيت لا يأتيهم الباطل لا عن يمينهم ولا عن شمالهم فهم معصومون وإلا لما قرنوا بالقرآن، قال الإمام الصادق عليه السلام:

«سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: إني خلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، من العترة؟ فقال: أنا والحسن والحسين والأئمة التسعة من ولد الحسين عليه السلام ناسعهم مهديهم وقائمهم لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم حتى يردوا على رسول الله صلى الله عليه وآله حوضه»^(٢).

ومن أقرب عترته صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام الذي هو نفسه، وهذه الخصوصية قد بينها أمير المؤمنين في أحد خطبه إذ قال عليه السلام:

«وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْمُنْزَلَةِ الْخُصِيصَةِ...»^(٣).

وفي رواية قال المأمون يوماً للرضا عليه السلام:

«أخبرني بأكبر فضيلة لأمر المؤمنين عليه السلام يدل عليها القرآن قال: فقال له الرضا عليه السلام: فضيلته في المباهلة قال الله جل جلاله:

(١) فصلت: ٤٢.

(٢) عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، ج ١، ص ٦٠.

(٣) نهج البلاغة، من الخطبة: ١٩٢، ص ١٨٤.

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا
وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ
اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(١)، فدعا رسول الله ﷺ الحسن والحسين عليهما السلام فكانا ابنيه
ودعا فاطمة عليها السلام فكانت في هذا الموضع نساءه ودعا أمير المؤمنين عليه السلام فكان نفسه
بحكم الله عز وجل، وقد ثبت أنه ليس أحد من خلق الله سبحانه أجل من رسول
الله ﷺ وأفضل فوجب أن لا يكون أحد أفضل من نفس رسول الله ﷺ بحكم
الله عز وجل، قال: فقال له المأمون: أليس قد ذكر الله الأبناء بلفظ الجمع وإنما دعا
رسول الله ﷺ ابنيه خاصة وذكر النساء بلفظ الجمع وإنما دعا رسول الله ﷺ
ابنته وحدها، فلم لا جاز أن يذكر الدعاء لمن هو نفسه ويكون المراد نفسه في
الحقيقة دون غيره فلا يكون لأمر المؤمنين عليه السلام ما ذكرت من الفضل؟ قال: فقال
له الرضا عليه السلام: ليس بصحيح ما ذكرت.. وذلك أن الداعي إنا يكون داعياً لغيره
كما يكون الأمر أمر الغير ولا يصح أن يكون داعياً لنفسه في الحقيقة كما لا يكون
أمرها في الحقيقة، وإذا لم يدع رسول الله ﷺ رجلاً في المباهلة إلا أمير المؤمنين عليه السلام
فقد ثبت أنه نفسه التي عنها الله تعالى في كتابه وجعل حكمة ذلك في تنزيهه،
قال، فقال المأمون، إذا ورد الجواب سقط السؤال^(٢).

وكان لفاطمة والحسين خصوصية عجيبة عند رسول الله ﷺ فهو لأهل
الأطهار كان ﷺ يزيهم العلم زقا وقد نبت لحمهم من لسانه وإبهامه الطاهرين.
عن رسول الله ﷺ قال:

(إن الله عز وجل قسّم الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسماً وذلك قوله :

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) (الفصول المختارة، الشيخ المفيد، ص ٣٨).

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ و﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ فأنا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين ثم جعل القسمين أثلاثاً فجعلني في خيرها ثلثاً فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ و﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ فأنا من السابقين وأنا خير السابقين ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة وذلك قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ وأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً وذلك قوله ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فأنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب» (١).

والطهارة من الذنوب اشارة إلى عصمتهم ﷺ وهذا لا شك فيه فكل الأنبياء والحجج معصومون من الذنوب وهذا اعتقادنا فيهم، ولعصمتهم اختارهم الله ان يكونوا عتره نبيه وخزان علمه.

المسألة الثانية

(آل البيت امتداد الرسالة السماوية)

قوله ﷺ: «نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَحَطُّ الرِّسَالَةِ، وَخُتْلَفُ الْمَلَائِكَةِ».

أولاً: قوله ﷺ: «نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ».

أي المتفرعون منها والوارثون محاسنها وما حوته من كمالات، فهذه الشجرة جمعت العظماء من الخلق وقد زادها الله شرفاً وتفضيلاً حينما جعل فروعها الأئمة المعصومين.

(١) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين البهقي، ج ١ ص ١٧٠.

قال السيد حبيب الله الخوئي الهاشمي في قوله:

«نَحْنُ شَجَرَةُ النَّبُوَّةِ»: (أراد به رسول الله ﷺ ونفسه الشريف وزوجته الصديقة وأولاده الطيبين الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين) (١).

وقال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: (فالتعبير بالشجرة يفيد أنّ النبوة كالشجرة المثمرة التي لها فروع وأغصان مختلفة، جذرها وساقها النبي الأكرم ﷺ، وأوراقها أولاده، وثمرتها هداية الناس إلى الله) (٢).

فآل البيت هم فروع الشجرة النبوية وهم ذرية السلالة الطاهرة الذي أكرمهم الله وفضلهم على سائر خلقه وهم كالنجوم المضيئة كلما أفل منهم نجم سطع آخر، عن أبي رجاء العطاردي قال: (لما بايع الناس لأبي بكر دخل أبو ذر [الغفاري رضي الله عنه] المسجد فقال: أيها الناس:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ* ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، فأهل بيت نبيكم هم الآل من آل إبراهيم، والصفوة والسلالة من إسماعيل، والعترة الهادية من محمد ﷺ، فبمحمد شرف شريفهم فاستوجبوا حقهم ونالوا الفضيلة من ربهم، [فأهل بيت محمد فينا] كالسما المبنية والارض المدحية والجبال المنصوبة والكعبة) (٣).

وهذا الوصف أشار أبو ذر (رضوان الله تعالى عليه) إلى خيرات آل البيت فهم منبع الفيض الالهي، عن أبي حمزة قال: (قلت لأبي عبد الله ﷺ: أتبقي

(١) منهاج البراعة، حبيب الله الخوئي، ج٧، ص٣٧٥.

(٢) الخطبة: ١٠٩، ص٣٩٢.

(٣) تفسير فرات الكوفي، ص٨١.

الأرض بغير إمام؟ قال: لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت^(١).

ومن خطبة له عليه السلام بين فيها علو نسب الهاشميين قال عليه السلام:

«نَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَبًا وَالْأَشْدُونَ بِالرُّسُولِ عليه السلام نَوْطًا»^(٢).

لا يوجد أعلى من نسب أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء والحجج الأظهر (عليهم أفضل الصلاة والسلام) بوصفهم من سلالة النبي وقد بين الإمام الحسين عليه السلام في مفاخرته مع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام علو شرفه وعظيم قدره من حيث النسل السامي، وقد افتخر على والده^(٣). وبهذه المفاخرة بين الإمام الحسين عليه السلام

(١) الكافي، ج ١، ص ١٧٩.

(٢) ١٦٢ ومن كلام له عليه السلام لبعض أصحابه وقد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به فقال: (يا أخا بني أسد إنك لقلق الوضين، تُرْسَلُ فِي غَيْرِ سَدِّ، وَلَكَ بَعْدُ ذِمَامَةُ الصَّهْرِ وَحَقُّ الْمُسْأَلَةِ، وَقَدْ اسْتَعْلَمْتَ فَأَعْلَمَ، أَمَّا الْإِسْتِبْدَادُ عَلَيْنَا بِهَذَا الْمَقَامِ، وَنَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَبًا وَالْأَشْدُونَ بِالرُّسُولِ عليه السلام) نَوْطًا، فَإِنَّمَا كَانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَّتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ، وَالْحُكْمُ لِلَّهِ وَالْمَعْوَدُ إِلَيْهِ الْقِيَامَةُ... نهج البلاغة، ص ٢٣١.

(٣) روى الفضل بن شاذان (إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان جالسا ذات يوم وعنده الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إذ دخل الحسين بن علي فأخذه النبي صلى الله عليه وآله وأجلسه في حجره وقبل بين عينيه وقبل شفتيه وكان للحسين عليه السلام ست سنين، فقال علي عليه السلام يا رسول الله أتحب ولدي الحسين؟ قال النبي صلى الله عليه وآله وكيف لا أحبه وهو عضو من أعضائي، فقال علي عليه السلام يا رسول الله أيها أحب إليك أنا أم الحسين؟ فقال الحسين يا أبتى من كان أعلى شرفا كان أحب إلى النبي صلى الله عليه وآله وأقرب إليه منزلة قال علي عليه السلام لولده أتفاخرنى يا حسين؟ قال نعم يا أبتاه ان شئت، فقال له الإمام علي عليه السلام يا حسين أنا أمير المؤمنين أنا لسان الصادقين أنا وزير المصطفى أنا خازن علم الله ومختاره فعندها سكت علي عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه وآله للحسين عليه السلام أسمع يا أبا عبد الله ما قاله أبوك وهو عشر عشر معشار ما قاله من فضاله ومن الف الف فضيلة وهو فوق ذلك أعلى، فقال الحسين عليه السلام الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وعلى جميع المخلوقين وخص جدنا بالتنزيل والتأويل والصدق ومناجاة الأمين

منزلة جده وأبيه وأمه الزهراء (صلوات الله وسلامه عليهم) بأنهم فاقوا جميع المنازل والمراتب وعلو الأنبياء والآباء شرفاً ورتبةً ومكانةً، حتى صاروا الأقرب إلى الله فلولاهم لما خلق الله السموات والأرضين وبقية الموجودات.
وقوله تعالى:

﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾، أي من نسل بعض^(١)، عن أبي جعفر عليه السلام قال:
«ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض قال: نحن منهم ونحن بقية تلك العترة»^(٢).

فمن نسل فاطمة تفرع الحجج، لذا كان أمير المؤمنين عليه السلام حريصاً عليهم أشد الحرص لكي لا ينقطع نسل رسول الله ولا تخلو الأرض من حجة، فمن كلام له عليه السلام في بعض أيام صفين، (وقد رأى الحسن ابنه عليه السلام يتسرع إلى الحرب [فقال]:
«امْلِكُوا عَنِّي هَذَا الْغُلَامَ لَا يَهْدِنِي، فَإِنِّي أَنَفْسُ بِهِدْنٍ يَعْنِي الْحَسَنَ

جبرئيل عليه السلام وجعلنا خيار من اصطفاه الجليل ورفعنا على الخلق أجمعين ثم قال الحسين عليه السلام اما ما ذكرت يا أمير المؤمنين فأنت فيه صادق أمين، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أذكر أنت يا ولدي فضائلك، فقال الحسين عليه السلام يا أبت انا الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وأمي فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين وجددي محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم سيد بني آدم أجمعين لا ريب فيه يا علي أمني أفضل من أمك عند الله وعند الناس أجمعين وجددي خير من جدك وأفضل عند الله وعند الناس أجمعين وانا في المهدي ناغاني جبرئيل وتلقاني إسرافيل، يا علي أنت عند الله تعالى أفضل مني وانا أفخر منك بالآباء والأمهات والأجداد، قال ثم إن الحسين عليه السلام اعتنق أباه وجعل يقبله واقبل علي عليه السلام يقبل ولده الحسين وهو يقول زادك الله تعالى شرفاً وفخراً وعلماً وحلماً ولعن الله تعالى ظالميك يا أبا عبد الله ثم رجع الحسين عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم (الفضائل، شاذان بن جبرئيل القمي (ابن شاذان)، ص ٨٣ - ٨٥).

(١) التفسير الأصفي، ج ١، ص ١٤٧ والحديث. عن أبي عبد الله عليه السلام.

(٢) تفسير العياشي، ج ١، ص ١٦٨.

وَالْحُسَيْنَ عليه السلام عَلَى الْمَوْتِ لِئَلَّا يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله» (١).

ومن وصية له كتبها لولده الحسن بن علي عليه السلام قال له:

«.. وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي، بَلْ وَجَدْتُكَ كُنِّي، حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي،
وَكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي، فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي..» (٢).

فقوله عليه السلام:

«وَجَدْتُكَ كُنِّي» أي نفسي وبهذا الكلام نستدل على ان الحسن والحسين
كنفس رسول الله صلى الله عليه وآله، وكذلك بقية الحجج.

عن شهاب بن عبد ربه قال: (سمعت الصادق عليه السلام يقول:

«يا شهاب نحن شجرة النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، ونحن عهد
الله وذمته، ونحن ود الله وحبته، كنا أنواراً صفوفاً حول العرش نسبح، فسبح
أهل السماء بتسبيحنا إلى ان هبطنا إلى الارض، فسبحنا فسبح أهل الأرض
بتسبيحنا وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون فمن وفى بذمتنا فقد وفى
بعهد الله عز وجل وذمته، ومن خفر ذمتنا فقد خفر ذمة الله عز وجل وعهده» (٣).

ثانياً: قوله عليه السلام:

«وَحَطَّ الرِّسَالَةَ وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ».

معناه أن الأئمة من قريش هم المؤدودون عن النبي أحكام الدين وإليهم تنزل
الملائكة في عرض صحائف العباد في ليلة القدر، فهؤلاء الطيبون هم سفراء الله

(١) نهج البلاغة، من كلام له عليه السلام قاله في صفين، ص ٣٢٣.

(٢) نهج البلاغة، من وصية له عليه السلام للحسن بن علي عليه السلام، كتبها إليه بحاضرين عند انصرافه من صفين،

ص ٣٩١.

(٣) تفسير القمي، ج ٢، ص ٢٢٨.

وأمنأوه على وحيه بعد النبي الاكرم ﷺ.

فكما كان سبحانه يوحى إلى نبي من أنبيائه قبل أن يتم أجله ويستوفي مدته أن يعطي ميراث النبوة وآثار العلم للنبي الذي يليه كذلك أوصى سبحانه نبي الرحمة أن يجعل العلم الذي عنده وميراث النبوة في أهل بيته (صلوات الله وسلامه عليهم).

عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«لما قضى محمد عليه السلام نبوته واستكملت ايامه أوحى الله يا محمد قد قضيت نبوتك واستكملت أيامك، فاجعل العلم الذى عندك من الايمان والاسم الاكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة في العقب في ذريتك فإنى لم اقطع العلم والايان والاسم الاكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة من العقب من ذريتك كما لم أقطعها من بيوتات الانبياء الذين كانوا بينك وبين أبىك آدم، وذلك قول الله:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١)، وإن الله جل وتعالى لم يجعل العلم جهلا ولم يكل أمره إلى أحد من خلقه لا إلى ملك مقرب ولا إلى نبي مرسل، ولكنه ارسل رسلا من ملائكة فقال له كذا وكذا فأمرهم بما يجب ونهاهم عما يكره فقص عليه أمر خلقه بعلمه فعلم ذلك العلم وعلم انبياءه وأصفياه من الانبياء والاعوان والذرية التي بعضها من بعض فذلك قوله:

﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾^(٢)،
فأما الكتاب فهو النبوة، وأما الحكمة فهم الحكماء من الانبياء في الصفوة وأما

(١) آل عمران: ٣٣ - ٣٤.

(٢) النساء: ٥٤.

الفصل الثالث: فروع الشجرة النبوية وأغصانها..... ١١٩

الملك العظيم فهم الائمة الهداة في الصفوة، وكل هؤلاء من الذرية التي بعضها من بعض التي جعل فيهم البقية، وفيهم العاقبة وحفظ الميثاق، حتى تنقضي الدنيا، وللعلماء وبولاة الامر الاستنباط للعلم والهداية»^(١).

خص سبحانه أهل بيت النبي بحفظ الميثاق، فلا تصلح الدنيا إلا بهم ولا تنكشف الظلمات إلا بنورهم فهم الحجج والذرية الطيبة التي اختارها الله وخصها بالولاية دون الناس، قال امير المؤمنين عليه السلام:

«إِنَّ الْأَيْمَةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرُسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ وَلَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ»^(٢).

وبهذا الكلام أبطل الإمام عليه السلام خلافة السابقين الذين غصبوا حق الولاية، فالخلافة اقتضت على بني هاشم دون سواهم.

وقد روى الخطيب البغدادي، عن الكلبي عن أبي صالح في قول الله عز وجل:

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٣)، قال: هم بنو هاشم، ثم قلت: من مضى منهم أم من

(١) العياشي، ج ١، ص ١٦٨، عن عبدالرحمن بن كثير قال: (قلت لأبي عبدالله عليه السلام ما عنى الله عز وجل بقوله تعالى: (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) قال: نزلت هذه الآية في النبي وأمير المؤمنين والحسن والحسين وفاطمة عليها السلام، فلما قبض الله عز وجل نبيه عليه السلام كان أمير المؤمنين ثم الحسن ثم الحسين عليهم السلام، ثم وقع تأويل هذه الآية: (واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) وكان علي بن الحسين عليهما السلام، ثم جرت في الائمة من ولده الاوصياء عليهم السلام فطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله عز وجل)، (علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٢٠٥).

(٢) من الخطبة: ١٤٤، ص ٢٠١.

(٣) الحج: ٤١.

بقي؟ قال: من مضى منهم ومن بقي» (١).

ومنها: قوله عليه السلام:

«لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ عليه السلام مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ، ... وَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوَلَايَةِ،
وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوَرَاثَةُ» (٢).

وقوله عليه السلام:

«إِنَّمَا الْأَئِمَّةُ قُورَاءُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَعُرْفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ
عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ» (٣).

وقوله عليه السلام:

«هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ، وَجَأُ أَمْرِهِ، وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ، وَمَوْتَلُ حُكْمِهِ، وَكُهُوفُ كُتُبِهِ،
وَجِبَالُ دِينِهِ» (٤).

وفي التنزيل قال تعالى:

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ (٥).

عن بريد قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فسألته عن قول الله تعالى:

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ

(١) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج ١٤، ص ٧٠.

(٢) نهج البلاغة، رقم الخطبة: ٢، ص ٤٧.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٥٢، ص ٢١٢.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ٢، ص ٤٧.

(٥) النساء: ٥٤.

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا^(١)، قال: فنحن الناس ونحن المحسودون على ما آتانا الله من الامامة دون خلق الله جميعا:

﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ جعلنا منهم الرسل والأنبياء والأئمة (عليهم الصلاة والسلام) فكيف يقرون بها في آل إبراهيم ويكذبون بها في آل محمد عليهم الصلاة والسلام:

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾^(٢)،^(٣).

وقد حدث رسول الله ﷺ الخاصة والعامة عن الأئمة الإثني عشر، وقد ورد عنه (صلوات الله وسلامه عليه) الكثير من الروايات التي تؤكد أن الأئمة من قريش هم خلفاؤه من بعده، ففي رواية عن رسول الله ﷺ قال:

«الأئمة من بعدي اثني عشر أولهم أنت يا علي وآخرهم القائم الذي يفتح الله على يديه مشارق الأرض ومغاربها»^(٤).

فرسول الله ﷺ حدد الأئمة وذكر أسماءهم وبيّن صفاتهم، وعلى الرغم من ذلك إلا أن شرار الخلق من الأمويين والعباسيين غضبوا حق الأئمة ونكروا أحاديث النبي وكل هذا لم يخفَ على رسول الله ﷺ وقد حدث نبي الرحمة عن هذه الزمر، ففي رواية نأخذ منها موضع الشاهد أنه ﷺ قال:

«... أوحى الله إلي: يا محمد إني اطلعت إلى الأرض اطلاعة فاخترت منها فجعلتك نبيا، ثم اطلعت ثانيا فاخترت منها عليا فجعلته وصيك ووارث

(١) النساء: ٥٤.

(٢) النساء: ٥٥.

(٣) عيون اخبار الرضا، ج ١، ص ٦٧.

(٤) كشف الغمة في معرفة الأئمة، علي بن أبي الفتح الإربلي، ج ٣، ص ٣١٢.

علمك والإمام بعدك، وأخرج من أصلابكما الذرية الطاهرة والأئمة المعصومين خزان علمي، فلولاكم ما خلقت الدنيا ولا الآخرة ولا الجنة ولا النار. يا محمد أتحب أن تراهم؟ قلت: نعم يا رب. فنوديت: يا محمد إرفع رأسك، فرفعت رأسي فإذا أنا بأنوار علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والحجة يتلألاً من بينهم كأنه كوكب دري، فقلت: يا رب من هؤلاء ومن هذا؟ قال: يا محمد هم الأئمة بعدك المطهرون من صلبك، وهو الحجة الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ويشفي صدور قوم مؤمنين، قلنا: بأبائنا وأمهاتنا أنت يا رسول الله لقد قلت عجباً، فقال ﷺ: وأعجب من هذا أن قوما يسمعون مني هذا ثم يرجعون على أعقابهم بعد إذ هداهم الله، ويؤذوني فيهم، لا أنالهم الله شفاعتي»^(١).

ومثلها حدث أمير المؤمنين ﷺ عن الأئمة الإثني عشر كما حدث النبي عنهم بل زاد الإمام تفصيلاً عن هؤلاء الطاهرين ففي رواية أنه ﷺ قال لابن قدامة: «.... يا بن قدامة أنا وابنائي شبرا وشبيرا وأمهما الزهراء بنت خديجة الكبرى الأئمة فيها واحدا واحدا إلى القائم اثنا عشر إماما، من عين شربنا وإليها رددنا، قال ابن قدامة قد عرفنا شبرا وشبيرا والزهراء والكبرى فما أسماء الباقي؟ قال: تسع آيات بينات كما أعطى الله موسى تسع آيات، الأول علموثا علي بن الحسين والثاني طيموثا الباقر والثالث دينوتا الصادق والرابع بجبوثا الكاظم والخامس هيملوثا الرضا والسادس أعلوثا التقي والسابع ريبوثا النقي والثامن علبوثا العسكري والتاسع ريبوثا وهو النذير الأكبر، قال ابن قدامة: ما هذه اللغة يا

(١) كفاية الأثر، الخراز القمي، ص ٧٢.

الفصل الثالث: فروع الشجرة النبوية وأغصانها ١٢٣

أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: أسماء الأئمة بالسريانية واليونانية التي نطق بها عيسى وأحیی بها الموتی والروح وأبرأ الأكمه والأبرص، فسجد ابن قدامة شكراً لله رب العالمين، نتوسل به إلى الله تعالى نكن من المقربين.

أيها الناس قد سمعتم خيراً فقولوا خيراً واسألوا تعلموا وكونوا للعلم حملة ولا تخرجوه إلى غير أهله فتهلكوا، فقال جابر: فقلت: يا أمير المؤمنين فما وجه استكشاف؟ فقال: أسألوني واسألوا الأئمة من بعدي، الأئمة الذين سميتهم فلم يخل منهم عصر من الأعصار حتى قيام القائم فاسألوا من وجدتم منهم وانقلوا عنهم كتابي، والمنافقون يقولون علي نص على نفسه بالربوبية فاشهدوا شهادة أسألکم عند الحاجة، إن علي بن أبي طالب نور مخلوق وعبد مرزوق، من قال غير هذا لعنه الله، من كذب علي، ونزل المنبر وهو يقول: «تحصنت بالحلي الذي لا يموت ذي العز والجبروت والقدرة والملكوت من كل ما أخاف وأحذر» فأيا عبد قالها عند نازلة به إلا وكشفها عنه، قال ابن قدامة: نقول هذه الكلمات وحدها؟ فقال عليه السلام: تضيف إليهما الإثني عشر إماماً وتدعو بها أردت وأحبيت يستجيب الله دعاك»^(١).

فسبحانه وتعالى خلقنا لأجلهم، لذا حينما ندعوا بهذه الأسماء لا شك أن الله سيقضي حوائجنا وينجيننا من أهوال الدنيا كما سينجيننا من هول القيامة بفضلهم وفضل شفاعتهم.

(١) إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب: علي اليزدي الحائري، ج ٢، ص ٢١٨ - ٢١٩. وقد (سأل هشام بن الحكم جماعة من المتكلمين فقال: أخبروني حين بعث الله محمداً بعثه بنعمة تامة أو بنعمة ناقصة؟ قالوا بنعمة تامة، قال: فأيا أتم أن يكون في أهل بيت واحد نبوة وخلافة أو يكون نبوة بلا خلافة؟ قالوا: بل يكون نبوة وخلافة قال: فلماذا جعلتموها في غيرها فإذا صارت في بني هاشم ضربتم وجوههم بالسيوف، فأفحموا). مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ١، ص ٢٣٧.

المبحث الثاني خصائص الشجرة النبوية

قوله ﷺ:

«لَهَا فُرُوعٌ طَوَالٌ وَثَمَرٌ لَا يُنَالُ».

المسألة الأولى

(امتداد ذرية النبي)

قوله ﷺ:

«لَهَا فُرُوعٌ طَوَالٌ».

قال السيد حبيب الله الخوئي (لها فروع طوال، إن كان المراد بالشجرة إبراهيم أو إسماعيل فالمراد بالفروع الأنبياء من ذريتها، وإن كان المراد بها هاشم أو النبي ﷺ فأراد بها الأئمة ﷺ ووصفها بالطول إشارة إلى بلوغها في الشرف والكمال منتهى النهاية)^(١).

تفرعت هذه الشجرة إلى فروع وهذه الفروع امتدت إلى عنان السماء، فالله سبحانه وتعالى زاد في بركتها رغم أعدائها، قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ٧، ص ١١٠.

وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿١﴾.

جاء في تفسير مقتنيات الدرر: (وهذه الصفة تدلّ على قوتها من التصاعد مرتفعة وبعيدة عن عفونات الأرض وقاذورات الأبنية فحينئذ ثمرتها نقيّة طاهرة عن جميع الشوائب) (٢).

وقال السيد محمد الحسيني الشيرازي: (ها فروع طوال) لامتداد ذريّة الرسول (صلى الله عليه وآله) (٣).

وفي التنزيل قال تعالى لرسوله الكريم:

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (٤).

الكوثر الخير الكثير ومن أبرز تجلياته فاطمة الزهراء، فمن هذه السيدة تفرع نسل النبي وكان منها أئمة الهدى الذي بهم حفظ الله شريعة المصطفى.

قال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي (إن أكثر علماء الشيعة ذهبوا إلى أنّ «فاطمة الزهراء (عليها السلام)» من أوضح مصاديق الكوثر، لأنّ رواية سبب النزول تقول: إنّ المشركين وصفوا النبي بالأبتر، أي بالشخص المعدوم العقب، وجاءت الآية لتقول:

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، ومن هنا نستنتج أن الخير الكثير أو الكوثر هي فاطمة الزهراء (عليها السلام)، لأن نسل الرسول (صلى الله عليه وآله) انتشر في العالم بواسطة هذه البنت

(١) ابراهيم: ٢٤.

(٢) تفسير مقتنيات الدرر، مير سيد علي الحائري الطهراني (المفسر)، ج ٦، ص ١١٤.

(٣) توضيح نهج البلاغة، السيد محمد الحسيني الشيرازي، ج ٢، ص ١٠٤.

(٤) سورة الكوثر.

الكريمة... وذرية الرسول من فاطمة لم يكونوا امتداداً جسمى للرسول ﷺ فحسب، بل كانوا امتداداً رسالياً صانوا الإسلام وضحوا من أجل المحافظة عليه وكان منهم أئمة الدين الإثني عشر، أو الخلفاء الإثني عشر بعد النبي كما أخبر عنهم رسول الله ﷺ في الأحاديث المتواترة بين السنة والشيعة، وكان منهم أيضاً الآلاف المؤلفة من كبار العلماء والفقهاء والمحدثين والمفسرين وقادة الأمة، والفخر الرازي في استعراضه لتفاسير معنى الكوثر يقول: القول الثالث «الكوثر» أولاده، قالوا لأن هذه السورة إنما نزلت رداً على من عابه ﷺ امتلاكه الأولاد فالمعنى أنه يعطيه نسلاً يبقون على مر الزمان، فانظر كم قتل من أهل البيت ثم العالم ممتلئ منهم ولم يبق من بني أمية في الدنيا أحد يعبأ به، ثم انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا ﷺ والنفس الزكية وأمثالهم» (١).

ومن وصية لأمير المؤمنين ﷺ أوصى بها الناس لما ثقل من الضربة قال ﷺ:

«وفيكُم من يخلف من نبيكم ﷺ ما إن تمسكتم بهم لن تضلوا، وهم الدعاة وهم النجاة، وهم أركان الأرض وهم النجوم بهم يستضاء، من شجرة طاب فرعها وزيتونة طاب [بورك ظ] أصلها، نبتت في الحرم، وسقيت من كرم، من خير مستقر إلى خير مستودع، من مبارك إلى مبارك، صفت من الأقدار والأدناس، ومن قبيح مأنبه شرار الناس لها فروع طوال لا تنال، حسرت عن صفاتها الألسن، وقصرت عن بلوغها الأعناق، فهم الدعاة وبهم النجاة، وبالناس إليهم حاجة، فأخلفوا رسول الله ﷺ فيهم بأحسن الخلافة فقد أخبركم أنهم والقرآن الثقلان، وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فالزموهم

(١) تفسير الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، ج ٢٠، ص ٤٩٩.

تهتدوا وترشدوا، ولا تتفرقوا عنهم ولا تتركوهم فتفرقوا وتمرقوا»^(١).

بيّن الإمام اصالة هذه الشجرة وطيب فروعها بقوله (عليه السلام):

«من شجرة طاب فرعها وزيتونة طاب [بورك ظ] أصلها، نبتت في الحرم، وسقيت من كرم».

ثم ذكر (عليه السلام) مستقر الحجج الطاهرين بقوله:

«من خير مستقر إلى خير مستودع، من مبارك إلى مبارك، صفت من الأقدار والأدناس».

وقد تحدثنا في الفصل الأول عن مستقره (صلوات الله وسلامه عليه) في جميع العوالم كذلك أهل بيته لهم الخصوصية نفسها، فقد وضعهم الله في خير مستقر ذلك في جميع العوالم، فهذه الأرواح الطاهرة منزهة عن الخطأ لذا جعلهم سبحانه يتقلبون في أقدس الأماكن، ففي عالم الأرواح كانوا في أظلة عرشه، اما في عالم الطينة فهم معجونون من طينة الولاية وفي عالم الاصلاب والارحام فهم في خير مستقر كذلك عالم الدنيا إلى أن يضعهم الله في اعلى منازل جنانه وهي مستقرهم الأبدي.

عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال:

«قال الله تبارك وتعالى: يا محمد، إني خلقتك وعلياً نوراً، يعني روحاً بلا بدن، قبل أن أخلق سماواتي وأرضي وعرشي وبحري، فلم تزل تهلّلي وتمجّدي، ثم جمعت روكيما فجعلتها واحدة، فكانت تمجّدي وتقدّسني وتهلّلي، ثم قسّمتها ثنتين، وقسّمت الثنتين ثنتين فصارت أربعة: محمد واحد، وعليّ واحد،

(١) نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة، الشيخ المحمودي، ج٨، ص٣٩٤.

والحسن والحسين ثنتان، ثم خلق الله فاطمة من نور إبتدأها روحاً بلا بدن، ثم مسحنا بيمينه فأفضى نوره فينا» (١).

وجاء في كتاب من لا يحضره الفقيه في رواية عن جابر عن رسول الله ﷺ، فبعد تلاوته (صلوات الله وسلامه عليه) لقوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا * ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ (٢).

قال جابر بن عبد الله الأنصاري (فقلت: يا رسول الله هذه حالنا فكيف حالك وحال الأوصياء بعدك في الولادة؟ فسكت رسول الله ﷺ ملياً، ثم قال: يا جابر لقد سألت عن أمر جسيم لا يحتمله إلا ذو حظ عظيم، إن الأنبياء والأوصياء مخلوقون من نور عظمة الله جل ثناؤه، يودع الله أنوارهم أصلاباً طيبة، وأرحاماً طاهرة، يحفظها بملائكته، ويربها بحكمته، ويغذوها بعلمه، فأمرهم يجلب عن أن يوصف وأحوالهم تدق عن أن تعلم، لأنهم نجوم الله في أرضه، وأعلامه في بريته، وخلفاؤه على عبادته، وأنواره في بلاده، وحججه على خلفه، يا جابر: هذا من مكنون العلم ومخزونه فاكتمه إلا من أهله (٣).

إن الكثير من الناس لا يستوعبون هذه الأسرار ومدى طهر هؤلاء الطيبين الذين اختارهم الله وفضلهم على سائر خلقه لذا كان (صلوات الله عليه) يأمر

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٤٤٠.

(٢) المؤمنون: ١٢-١٦.

(٣) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج ٤، ص ٤١٤.

الفصل الثالث: فروع الشجرة النبوية وأغصانها..... ١٢٩

أصحابه المقربين بالكتمان لمثل هذه الأحاديث، وقد بيّن النبي الأكرم ﷺ كيف يرمى الله عز وجل أنبياءه وأوليائه فمن لطائف الله على حججه:

أولاً: إنه تعالى خلقهم من نور عظمته، فتلك الأرواح قدسية ليس فيها شرك.

ثانياً: إنه تعالى جعلهم يتقبلون في أكرم الأصلاب والأرحام وأطهرها وبهذا قد حفظهم من جميع الأرجاس.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«إن نطفة الإمام من الجنة، وإذا وقع من بطن أمه إلى الأرض وقع وهو واضح يده إلى الأرض رافع رأسه إلى السماء، قلت جعلت فداك ولم ذاك قال عليه السلام: لأن مناديا يناديه من جو السماء من بطنان العرش من الأفق الأعلى: يا فلان بن فلان اثبت فإنك صفوتي من خلقي، وعيبة علمي ولك ولمن تولاك أوجبت رحمتي، ومنحت جناني، وأحلكت جواربي، ثم وعزتي وجلالي لأصلين من عاداك أشد عذابي، وإن أوسعت عليهم في دنياي من سعة رزقي، قال: فإذا انقضى صوت المنادي، أجابه هو: «شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم» فإذا قالها أعطاه الله العلم الأول والعلم الآخر واستحق زيادة الروح في ليلة القدر» (١).

ثالثاً: إنه تعالى يحفظ هؤلاء الطيبين بملائكته ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويتلطف عليهم منذ الصغر، قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة القاصعة:

«.. وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ ﷺ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ،

(١) بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٣٨.

يَسْأَلُكَ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ ..» (١).

روي أن بعض أصحاب أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام سأله عن قول الله عز وجل:

﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ (٢). فقال عليه السلام:

«يوكل الله تعالى بأنبيائه ملائكة يحصون أعمالهم، ويؤدون إليه تبليغهم الرسالة، ووكل بمحمد عليه السلام ملكا عظيما منذ فصل عن الرضاع يرشده إلى الخيرات ومكارم الأخلاق، ويصده عن الشر ومسائىء الأخلاق، وهو الذي كان يناديه السلام عليك يا محمد يا رسول الله وهو شاب لم يبلغ درجة الرسالة بعد، فيظن أن ذلك من الحجر والأرض، فيتأمل فلا يرى شيئا» (٣).

ومن خصائص النبي الأكرم عليه السلام أنه تعالى وكل به هذا الملك العظيم يسلك به طريق المكارم ومحاسن الصفات، وهذه الخصوصية كانت عند الأئمة المعصومين أيضاً.

روى الكليني عن أبي بصير قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ (٤) قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، لم يكن مع أحد ممن مضى، غير محمد عليه السلام وهو مع الأئمة

(١) الخطبة: ١٩٢، المعروفة بالقاصعة.

(٢) الجن: ٢٧.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٢٠٧.

(٤) الإسراء: ٨٥.

يسددهم، وليس كل ما طلب وجد»^(١).

وقد يشتهه البعض وتلتبس عليه الأمور حول هذه الروح التي تسدد النبي والأئمة هل هي أعظم منهم.

الجواب: لا يوجد مخلوق أعظم من النبي والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) ولا يوجد مخلوق أعلم منهم ولكن شاء الله أن يجعل لكل سبب مسببات والملائكة تعد من المسببات مثلها ان الله سبحانه أنزل القرآن على صدر النبي من خلال جبرائيل عليه السلام وكان بالإمكان أن يخاطب النبي بدون واسطة وقد حدث ذلك مع النبي وسائر الرسل^(٢).

ومما يزيد ذلك وضوحاً قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ﴾^(٣).

المسألة الثانية

(مكانة آل البيت)

قوله عليه السلام:

«وَتَمَرٌ لَا يُنَالُ».

ليس المراد بأن ثمار هذه الشجرة صعبة الالتقاط، بل العكس إن ثمار هذه

(١) الكافي، ج ١، ص ٢٧٣.

(٢) أراد الله بذلك أن يثبت للخلق أنه سبحانه هو الذي أنشأ الأسباب والمسببات ويمكن له أن يستغني عنها متى شاء.

(٣) الشورى: ٥١.

الشجرة متهدلة:

﴿تُوِّي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾^(١). وإنما قوله (وَتَمَرٌ لَا يُنَالُ) إشارة إلى عظيم منزلتها وما تحوي هذه الشجرة من علوم ومعارف وكرامات وفضائل، فمن الصعب نيلها أو الوصول إلى دقيق اسرارها^(٢).

وللتوضيح أكثر سنبين ذلك في عدة نقاط:

أولاً: إشارة إلى علوم هذه الشجرة.

خص الله أنبياءه وأوليائه وحججه بالعلم دون غيرهم، والسبب أن هؤلاء الأطهار لهم عقول تعي كلام الله، وصدور تحفظ العلم، لذا جعل سبحانه قلوب هؤلاء الأطهار وعقولهم مستودع علمه وقد ورد في النهج خطب كثيرة تتحدث عن علمهم منها.

وقوله عليه السلام:

«أَيُّنَ الَّذِينَ رَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا، كَذِبًا وَبَغْيًا عَلَيْنَا أَنْ رَفَعْنَا اللَّهَ وَوَضَعَهُمْ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ وَأَدْخَلْنَا وَأَخْرَجَهُمْ، بِنَا يُسْتَعطَى الْهُدَى وَيُسْتَجَلَى الْعَمَى»^(٣).

وقوله عليه السلام:

«هُمُ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ، يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكْمِ مَنْطِقِهِمْ، لَا يَخَالِفُونَ الْحَقَّ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، وَهَمَّ دَعَائِمِ الْإِسْلَامِ، وَوَلَائِحِ الْإِعْتِصَامِ، بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ، وَأَنْزَا حَ الْبَاطِلُ عَنْ

(١) ابراهيم: ٢٥.

(٢) ينظر منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ٧، ص ١١٠.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٤٤.

الفصل الثالث: فروع الشجرة النبوية وأغصانها..... ١٣٣

مُقَامِهِ، وَأَنْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنِّيهِ، عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلًا وَعَايَةً وَرِعَايَةً، لَا عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ...» (١).

فخاتم الرسل الذي هو أعلم الخلق قد أودع ذلك العلم لآل البيت عليهم السلام وخصهم دون الناس، قال عليه السلام:

«نَحْنُ الشُّعَارُ وَالْأَصْحَابُ وَالْحُزْنَةُ وَالْأَبْوَابُ، وَلَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا» (٢).

فمن الصعب أن يصل أي مخلوق إلى هذا المستوى العالي في العلم وإن كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلًا ويؤيد كلامنا ما جاء في الأخبار عن الأئمة عليهم السلام، فعن محمد بن عبد الخالق وأبي بصير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

«يا أبا محمد إن عندنا والله سرا من سر الله، وعلما من علم الله، والله ما يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان والله ما كلف الله ذلك أحدا غيرنا ولا استعبد بذلك أحدا غيرنا وإن عندنا سرا من سر الله وعلما من علم الله، أمرنا الله بتبليغه، فبلغنا عن الله عز وجل ما أمرنا بتبليغه، فلم نجد له موضعا ولا أهلا ولا حمالة يحتملونه حتى خلق الله لذلك أقواما، خلقوا من طينة خلق منها محمد وآله وذريته عليهم السلام ومن نور خلق الله منه محمدا وذريته وصنعهم بفضل صنع رحمته التي صنع منها محمدا وذريته، فبلغنا عن الله ما أمرنا بتبليغه، فقبلوه واحتملوا ذلك [فبلغهم ذلك عنا فقبلوه واحتملوه] وبلغهم ذكرنا فمالت قلوبهم إلى معرفتنا وحديثنا، فلولا أنهم خلقوا من هذا لما كانوا كذلك،

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٣٧، ص ٣٥٧.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٥٤، ص ٢١٥.

لا والله ما احتملوه....»^(١).

فلا يعي حديث أهل البيت عليهم السلام إلا الراسخون في العلم ومن كانت له إذن واعية وقلب حفيظ ونفس مطمئنة لأن حديثهم صعب مستصعب لذا لم يستوعب أهل البيت إلا القلائل من الصحابة والناس، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«ذكرت التقية يوما عند علي بن الحسين عليهما السلام فقال: والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، ولقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينهما، فما ظنكم بسائر الخلق، إن علم العلماء صعب مستصعب، لا يحتمله إلا نبي مرسل أو ملك مقرب أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، فقال: وإنما صار سلمان من العلماء لأنه امرؤ منا أهل البيت فلذلك نسبته إلى العلماء»^(٢).

ثانياً: إشارة إلى إنها لا تنال من حيث المنزلة والمكانة عند الله.

فلا يصل لمنزلة النبي والعترة أي مخلوق وهذا ما وضحته الكثير من الروايات، فلا يقاس بأل البيت أحد، هذا ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه، فالله سبحانه وتعالى زادهم فضلاً على العالمين، وقد شهد بذلك أعداؤهم.

قال العلامة الحلي: (لم يلحق أحد أمير المؤمنين عليه السلام في شرف النسب، كما قال عليه السلام):

«نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد»، قال الجاحظ: وهو من أعظم الناس

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٤٠٢.

(٢) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن بن فروخ (الصفار)، ص ٤٥.

عداوة لأمر المؤمنين عليه السلام: صدق علي في قوله:

«نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد»، كيف يقاس بقوم منهم رسول الله صلى الله عليه وآله؟ والأطيان علي وفاطمة، والسبطان الحسن والحسين، والشهيدان حمزة، وذو الجناحين جعفر، وسيد الوادي عبد المطلب، وساقى الحجيج عباس، وحليم البطحاء أبو طالب؟، والنجدة والخيرة فيهم؟، والأنصار من نصرهم، والمهاجرون من هاجر إليهم ومعهم، والصديق من صدقهم، والفاروق من فرق الحق والباطل فيهم، والحواري حواريهم، وذو الشهادتين لأنه شهد لهم، ولا خير إلا فيهم، ولهم، ومنهم، وأبان رسول الله صلى الله عليه وآله أهل بيته بقوله:

«إني تارك فيكم الخليفتين: كتاب الله، جبل ممدود من السماء إلى أهل الأرض، وعترتي وأهل بيتي، نبأني اللطيف الخبير: أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»، ولو كانوا كغيرهم لما قال عمر، لما طلب مصاهرة علي: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

«كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي، فأما علي فلو أوردنا لأيامه الشريفة، ومقاماته الكريمة، ومناقبه السنية، لأفنيها في ذلك الطوامير الطوال، العرق صحيح، والمنشأ كريم، والشأن عظيم، والعمل جسيم، والعلم كثير، والبيان عجيب، واللسان خطيب، والصدر رحيب، وأخلاقه وفق أعراقه، وحديثه يشهد لقديمه»^(١).

وقد تمنى بعض الصحابة الذين ضلوا عن الحق ان تكون لهم منقبة من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، لكن الله شاء ان يرفع الحق ويزهق الباطل.

(١) نهج الحق وكشف الصدق، العلامة الحلي، ص ٢٥٣.

وفي رواية توضح ان سبب طرد آدم من الجنة هو أنه عليه السلام تمنى أن يصل إلى منزلة النبي والعترة الطاهرة (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، قال أبو عبد الله عليه السلام:

«... فلما أراد الله عز وجل أن يتوب عليهما جاءهما جبرئيل فقال لهما: إنكما إنما ظلمتما أنفسكما بتمني منزلة من فضل عليكما فجزاؤكما ما قد عوقبتما به من الهبوط من جوار الله عز وجل إلى أرضه فسلا ربكما بحق الأسماء التي رأيتموها على ساق العرش حتى يتوب عليكما، فقالا، اللهم إنا نسألك بحق الأكرمين عليك محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام إلا تبت علينا ورحمتنا فتاب الله عليهما إنه هو التواب الرحيم فلم يزل أنبياء الله بعد ذلك يحفظون هذه الأمانة ويخبرون بها أوصيائهم والمخلصين من أممهم فيأبون حملها ويشفقون من ادعائها وحملها الإنسان الذي قد عرف، فأصل كل ظلم منه إلى يوم القيامة، وذلك قول الله عز وجل:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (١).

هذه هي المكانة التي لا يصل لها ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا أي مخلوق، فقد رفعهم الله في أعلى عليين، وجعل الوصول إلى منزلتهم من المحال، وكل ذلك يعود إلى طاعتهم وقربهم منه تعالى.

إن أول مخلوق حسد محمداً وآل محمد لمنزلتهم ومكانتهم عند الله هو إبليس اللعين، والذي سبق علمه كل شيء علم أن من البشر من يحسد هؤلاء الأطهار

(١) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ص ١٠٨ - ١١٠، البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم

الفصل الثالث: فروع الشجرة النبوية وأغصانها..... ١٣٧

كما حسدهم ابليس (عليه اللعنة)، لذا أقسم سبحانه أن يملأ جهنم من أعدائهم من الجن والإنس، وأن يجعل محبيهم في أعلى عليين.

ثالثاً: إشارة إلى انها لا تنال من حيث علو القدر.

فكم أرادوا أن يقللوا من قدر هذه العترة وبالخصوص سيد الأوصياء لكن الله سبحانه أعزه وأعز أبناءه (عليه وعليهم السلام)، وأذل أعداءهم، قال تعالى:

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١).

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«أَوْلَيْتَكَ وَاللَّهِ الْأَقْلُونَ عَدَدًا وَالْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا» (٢).

والسبب في تعظيمه سبحانه لعترة النبي هو أنهم عليهم السلام أطاعوه حق طاعته وعملوا بكتابه وضحوا لأجله فصار لهم هذا القدر العظيم والمكانة السامية. ولهذا المكانة حسدهم الناس على ما أتاهم الله من فضله .

عن ابن عباس: (أنه مر بمجلس من مجالس قريش وهم يسبون علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال لقائده: ما يقول هؤلاء؟ قال: يسبون عليا، قال: قربني إليهم، فلما أن أوقف عليهم، قال: أيكم الساب الله؟ قالوا: سبحان الله! من يسب الله فقد أشرك بالله، قال: فأيكم الساب رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالوا: من يسب رسول الله فقد كفر، قال: فأيكم الساب علي بن أبي طالب؟ قالوا: قد كان ذلك، قال: فأشهد بالله وأشهد لله، لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من سب عليا فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله صلى الله عليه وآله، ثم مضى، فقال لقائده: فهل قالوا شيئاً حين قلت لهم ما قلت؟ قال: ما قالوا شيئاً، قال: كيف رأيت

(١) المنافقون: ٨.

(٢) الحكمة: ١٤٧.

وجوههم؟ قال:

نظروا إليك بأعين محمرة نظر التيوس إلى سفار الجازر

قال: زدني فداك أبوك، قال:

خزر الحواجب، ناكسو أذقانهم نظر الذليل إلى العزيز القاهر

قال: زدني فداك أبوك، قال: ما عندي غير هذا، قال: لكن عندي .

أحياؤهم خزي على أمواتهم والميتون فضيحة للغابر^(١).

لم يجد هؤلاء الأرجاس أي نقيصة في أمير المؤمنين عليه السلام لينتقصوه بها، لذا اضطروا إلى سبه وشتمه، وهذه من شيمهم، فقد تربوا على أساس خبيث. فبشتمهم ولي الله بانوا على حقيقتهم لأن السب ليس من شيم المسلم وكان أمير المؤمنين عليه السلام يوصي المقاتلين أن لا يسبوا القوم وهذه من اخلاقه عليه السلام فهو ذلك البطل الذي تربي بحجر رسول الله صلى الله عليه وآله، وتأدب بأدبه وقد شهد له المحب والعدو بأنه نفس محمد صلى الله عليه وآله.

ومن كلام له عليه السلام وقد سمع قوما من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين قال لهم عليه السلام:

«إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ، وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَاهُمْ وَذَكَرْتُمْ حَاهُمْ، كَانَ أَصُوبَ فِي الْقَوْلِ وَأَبْلَغَ فِي الْعُدْرِ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ، اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنَهُمْ وَاهْدِهِمْ مِنْ

(١) الأمايلي، الشيخ الصدوق، ص ١٥٨.

وجاء في امالي الطوسي ص ٨٦: (عن أبي عبد الله الجدي، قال: دخلت على أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله

فقلت: أيسب رسول الله صلى الله عليه وآله فيكم؟ فقلت: معاذ الله! قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

من سب عليا فقد سبني).

ضَلَّالَتِهِمْ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جِهَلَهُ، وَيَرَعَوِي عَنِ الْغَيِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهَجَ بِهِ» (١).

هذا هو منطق الإمام ومبدؤه الذي تربى عليه مذ كان طفلاً بين احضان سيد الخلق لذا زاده الله قدراً، ففي رواية إنَّ أبا الهيثم بن التيهان قام خطيباً بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: إنَّ حسد قريش إِيَّاكَ على وجهين: أمَّا خيارهم فتمنوا أن يكونوا مثلك منافسة في البلاء، وارتفاع الدرّجة، وأمَّا شرارهم فحسدوا حسداً أثقل القلوب، وأحبط الأعمال، وذلك أتهم رأوا عليك نعمة قدّمها إليك، الحظّ وأخرهم عنها الحرمان، فلم يرضوا أن يلحقوا حتّى طلبوا أن يسبقوك، فبعدت والله عليهم الغاية، وقطعت المضمار، فلما تقدّمتهم بالسبق وعجزوا عن اللحاق، بلغوا منك ما رأيت، وكنت والله أحق قريش بشكر قريش، نصرت نبيّهم حيّاً وقضيت عنه الحقوق ميّتا، والله، بغيهم إلاّ على أنفسهم، ولا نكثوا إلاّ ببيعة الله، يد الله فوق أيديهم (٢).

المسألة الثالثة

اعتدال اغصانها وتهدل ثمارها

أولاً: قوله عليه السلام:

«أغصانها معتدلة».

أشار إلى عصمتهم عليهم السلام، فأغصان هذه الشجرة ليس فيها عوج أو زيغ أو ميل عن الحق، فمن تمسك بغصن من أغصان هذه الشجرة النبوية فقد اهتدى إلى الرشاد، والأغصان هم الأئمة من ذرية علي وفاطمة عليهما السلام الذي نص عليهم

(١) نهج البلاغة، من كلام له عليه السلام قاله في صفين، ص ٣٢٣.

(٢) الأُمالي، الشيخ المفيد، ص ١٥٥.

رسول الله ﷺ بالعصمة والطهارة من الرجس.

قال السيد حبيب الله الخوئي عن قوله: (المراد بها الأغصان المعهودة أعني أهل بيت العصمة والطهارة فإنّ الجمع المضاف إنّما يفيد العموم حيث لا عهد، والقرينة على إرادة الخصوص هنا قائمة وهي قوله معتدلة فإنّ الظاهر أنّ المراد به اعتدالها في الكمالات النفسانية وكونها مصونة من التفريط والافراط كما قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، روى بريد العجلي في هذه الآية عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال:

«نحن الأمة الوسط»، وفي رواية حمران عنه عليه السلام إنّما انزل الله:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، يعني عدلا ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(١).

قال رسول الله ﷺ:

«أنا سيد الأولين والآخرين، وأنت يا علي سيد الخلائق بعدي، وأولنا كآخرنا، وآخرنا كأولنا»^(٢).

فعلي نفس محمد ﷺ والمعصومون من ذريته عليه السلام هم كذلك، وإلا لما قال «أولنا كآخرنا، وآخرنا كأولنا»، فهؤلاء الطيبون ورثوا من رسول الله ﷺ العلم والحلم والحكمة والمعرفة وجميع الكمالات التي كانت متواجدة في شخص رسول الله ﷺ، لذا اعتمد عليهم في قيادة الأئمة فهم الصراط المستقيم، قال

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ٩، ص ٤٠٧.

(٢) مائة منقبة، محمد بن أحمد بن علي بن الحسن القمي (ابن شاذان)، ص ١٨.

الإمام زين العابدين عليه السلام:

«نحن الصراط المستقيم»^(١).

وعن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: (دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقلت: يا أبا الحسن أخبرني بما أوصى إليك رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: سأخبركم، إن الله اصطفى لكم الدين وارتضاه وأتم عليكم نعمته، وكنتم أحق بها وأهلها، وأن الله أوحى إلى نبيه أن يوصي إلي، فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا علي احفظ وصيتي وارفع ذمامي وأوف بعهدي وأنجز عدااتي [واقض ديني] وقومها وأحبي سنتي وادع إلى ملتي، لأن الله تعالى اصطفاني واختارني، فذكرت دعوة أخي موسى عليه السلام فقلت: اللهم اجعل لي وزيراً من أهلي كما جعلت هارون من موسى، فأوحى الله عز وجل إليّ أن علياً وزيرك وناصرك والخليفة من بعدك، ثم يا علي أنت من أئمة الهدى وأولادك منك، فأنتم قادة الهدى والتقى والشجرة التي أنا أصلها وأنتم فرعها، فمن تمسك بها فقد نجا ومن تخلف عنها فقد هلك وهوى، وأنتم الذين أوجب الله تعالى مودتكم وولايتكم والذين ذكرهم الله في كتابه ووصفهم لعباده، فقال عز وجل من قائل:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢)، فأنتم صفوة الله من آدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران، وأنتم الاسرة من إسماعيل والعترة الهادية من محمد (صلوات الله عليهم أجمعين)^(٣).

(١) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج٢، ص١٦٠٩.

(٢) آل عمران: ٣٣ - ٣٤.

(٣) تفسير كنز الدقائق، الميرزا محمد المشهدي، ج٣، ص٧٣.

ثانياً: قوله عليه السلام:

«وثارها متهدلة».

قال الشيخ محمد جواد مغنية: معنى (ثارها متهدلة) كناية عن العلم والهداية، والخلق والاستقامة^(١).

فهذه الشجرة لا تمنع الناس من كرمها، قال تعالى:

﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾^(٢).

قوله تعالى:

﴿كُلَّ حِينٍ﴾، أي انها معطاة بلا انقطاع ولا فتور، فعن سلام بن المستنير قال سئلت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى:

﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾، فقال الشجرة رسول الله، نسبه ثابت في بني هاشم وفرع الشجرة علي وعنصر الشجرة فاطمة وأغصانها الأئمة وورقها الشيعة، وإن الرجل منهم ليموت فتسقط منها ورقة وإن المولود منهم ليولد فتورق ورقة، قال قلت له جعلت فداك قوله تعالى:

﴿تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾، قال هو ما يخرج من الامام من الحلال والحرام في كل سنة إلى شيعته^(٣).

(١) في ظلال نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤٤١.

(٢) ابراهيم: ٢٤ - ٢٥.

(٣) بصائر الدرجات، ص ٧٩.

الفصل الثالث: فروع الشجرة النبوية وأغصانها ١٤٣

فمن أراد العلم فهم أهله ولم يقتصر عطاؤهم على العلم فقط، بل يأتي من باب كرمهم أيضا وجودهم.

روي عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال:

«السخي الحسن الخلق في كنف الله لا يستخلي الله منه حتى يدخله الجنة، وما بعث الله رسولا نبيا ولا وصيا إلا سخيا وما كان أحد من الصالحين إلا سخيا وما زال أبي يوصيني بالسخاء حتى مضى»^(١).

والسخاء شجرة في الجنة من تعلق بغصن منها دخل الجنة^(٢)، وأكثر الناس إيمانا أبسطهم كفا، لذا صار الاختيار لهؤلاء الأطهار فهم أشبه الناس خلقا ومنطقا ووصفاً بالنبوي.

قال أنس: (جاءت جارية للحسن عليه السلام بطاق ريجان، فقال لها: أنت حرة لوجه الله، فقيل له في ذلك، فقال عليه السلام: أدبنا الله تعالى فقال:

﴿إِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ وكان أحسن منها إعتاقها)^(٣).

وروي أنه (وجد على ظهر الحسين عليه السلام يوم الطف أثر فسألوا زين العابدين عليه السلام عن ذلك فقال هذا مما كان ينقل الجراب على ظهره إلى منازل الأرامل واليتامى والمساكين، وعلم عبد الرحمن السلمى ولدا للحسين عليه السلام الحمد فلما قرأها على

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٤، ص ٣٩، ح ٤.

(٢) ينظر وسائل الشيعة، ج ٢١، ص ٥٤٥. عن الإمام أبي الحسن عليه السلام.

(٣) الميزان، السيد الطباطبائي، ج ٥، ص ٣٥ وجاء مثله عن الإمام الحسين انه (دخلت على الحسين) عليه السلام) جارية فحيته بطاقة ريجان فقال لها أنت حرة لوجه الله تعالى فقيل له تحيئك بطاقة ريجان لا خطر لها فتعتقها قال كذا أدبنا الله قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ وكان أحسن منها عتقها)، لواعج الأشجان، السيد محسن الامين، ص ١٦.

أبيه أعطاه ألف دينار وألف حلة وحشا فاه درا فقليل له في ذلك فقال وأين يقع هذا من عطائه يعني تعليمه وأنشد الحسين عليه السلام:

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها

على الناس طرا قبل ان تتفلت

فلا الجود يفيها إذا هي أقبلت

ولا البخل يبقها إذا ما تولت^(١).

وقد ذكر سبحانه وتعالى هذه الشجرة المباركة في كتابه الكريم لكرمها فهي مختلفة في عطائها، إذ أنها جمعت أكرم الناس وأجود الناس وأبسط الناس كفاً، الذين ينفقون في السراء والضراء وقد حكى سبحانه وتعالى عنهم في كتابه الكريم بقوله:

﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(٢).

(١) لواعج الأشجان، السيد محسن الأمين، ص ١٥.

(٢) الإنسان: ٨.

نتائج البحث

الحمد لله الذي جعل مستقر نبيه وأهل بيته (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) في خير مستقر ومنبتهم أشرف منبت وجعلهم يتقلبون بين الساجدين والعابدين حتى أخرجهم من أطهر الأصلاب وأشرف الأرحام..
أما بعد...

فتبين من خلال هذا البحث عدة نتائج منها:

أولاً: النبوة شجرة جذورها الأنبياء وساقها رسول الله ﷺ وفروعها الأئمة وثمارها العلم وأوراقها شيعتهم.

ثانياً: لو كان في آباء النبي ﷺ مشرك واحد لما قال تعالى لنبيه في قوله تعالى: ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾، فهذه الآية تنفي وجود أي مشرك في آباء النبي ﷺ، ونثبت بهذه الآية ان آزر ليس والد نبينا ابراهيم عليه السلام.

ثالثاً: كشف البحث ان بني امية لصقاء على بني هاشم، وانهم ليسوا قريشياً الأصل بل هم من اصول رومية.

رابعاً: إن كل ما ترتب على رسول الله ﷺ من طهر وأصالة في الحسب والنسب كل هذه الكرامات قد حازها أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وذريتهم المعصومين عليهم السلام فهم من سلالة واحدة وأصل واحد.

خامساً: ان طيب الولادة أول نعم الله وأعظمها، فإن أحب الله عبداً جعله في خير مستقر وخير مستودع.

سادساً: إن الله سبحانه ذكر هذه الشجرة النبوية في كتابه الكريم ومدحها إذ انها تحوي الخير الكثير، كذلك ذكر سبحانه شجرة بني امية في القرآن وقد ذمها ولعنها لما تحوي هذه الشجرة من خبث، فهذه الشجرة ليس لها اصل ولا قرار.

سابعاً: كان اختياره وتفضيله (صلوات الله وسلامه عليه) من قبله تعالى قبل ان يخلق آدم والسموات والأرضين بآلاف السنين كذلك نال أهل بيته هذه الخصوصية.

ثامناً: إن الفروع والأغصان المعتدلة التي أشار اليها أمير المؤمنين عليه السلام هم أهل بيت النبي وعترته (صلوات الله عليهم أجمعين) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

تاسعاً: ليس كل من نسب إلى هذه الشجرة كان من المصطفين وقد بين الله سبحانه لنبيه ابراهيم ذلك وقد حكى سبحانه عن ذلك بقوله:

﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١).

فمن هذه الذرية ظالم لنفسه لذا وقع الاضطفاء على هؤلاء الأطهار الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

المصادر

المصادر

القرآن الكريم

١. الاختصاص، الشيخ المفيد، (الوفاة: ٤١٣)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، السيد محمود الزرندي، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤ - ١٩٩٣ م، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.
٢. اختيار مصباح السالكين، ابن ميثم البحراني، (الوفاة: ٦٧٩)، تحقيق وتقديم وتعليق: الدكتور شيخ محمد هادي الأمين، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٠٨ - ١٣٦٦ ش، المطبعة: مؤسسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضوية المقدسة، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية ص. ب ٣٦٦٣ - ٩١٣٧٥ - مشهد - إيران.
٣. أساس البلاغة، الزمخشري، (الوفاة: ٥٣٨)، سنة الطبع: ١٩٦٠، دار ومطابع الشعب - القاهرة.
٤. الأمالي، الشيخ الطوسي، (الوفاة: ٤٦٠)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٤، الناشر: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - قم.
٥. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.
٦. بصائر الدرجات، محمد بن الحسن بن فروخ (الصفار)، (الوفاة: ٢٩٠)، تصحيح وتعليق وتقديم: الحاج ميرزا حسن كوچه باغي، سنة الطبع: ١٤٠٤ - ١٣٦٢ ش، المطبعة: مطبعة الأحمدي - طهران، الناشر: منشورات الأعلمي - طهران.
٧. بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، محمد تقي التستري، الطبعة الأولى، ١٤٣٢ - ٢٠١١، مؤسسة التاريخ العربي، لبنان.
٨. تاج العروس، الزبيدي، (الوفاة: ١٢٠٥)، تحقيق: علي شيري، سنة الطبع: ١٤١٤

- ١٥٠..... الشجرة النبوية في نهج البلاغة
- ٩ - ١٩٩٤م، المطبعة: دار الفكر - بيروت الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.
٩. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، (الوفاة: ٤٦٣)، تحقيق: دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٧ - ١٩٩٧ م، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
١٠. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، (الوفاة: ٥٧١)، سنة الطبع: ١٤١٥، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.
١١. التفسير الأصفي، الفيض الكاشاني، (الوفاة: ١٠٩١)، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٨ - ١٣٧٦ ش، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، الناشر: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي.
١٢. بحار الأنوار العلامة المجلسي، تحقيق: الشيخ عبد الزهراء العلوي الطبعة: سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ المطبعة: الناشر: دار الرضا - بيروت - لبنان.
١٣. تفسير الرازي: فخر الدين الرازي، (الوفاة: ٦٠٦)، الطبعة: الثالثة.
١٤. التفسير الصافي، الفيض الكاشاني، (الوفاة: ١٠٩١)، صححه وقدم له وعلق عليه العلامة الشيخ حسين الأعلمي، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: رمضان ١٤١٦ - ١٣٧٤ ش، المطبعة: مؤسسة الهادي - قم المقدسة.
١٥. تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، (الوفاة: ٣٢٠)، تحقيق: الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، الناشر: المكتبة العلمية الإسلامية - طهران.
١٦. تفسير جوامع الجامع، الشيخ الطبرسي، (الوفاة: ٥٤٨)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٨، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
١٧. التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، (الوفاة: ١٤٠٠)، الطبعة: الثالثة، سنة الطبع: آذار (مارس) ١٩٨١، المطبعة: الناشر: دار العلم للملايين - بيروت -

لبنان، ملاحظات: دار العلم للملايين ص . ب: ١٠٨٥ - بيروت - تلکس :
٢٣١٦٦ - لبنان.

١٨. تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، (الوفاة: ٣١٠)، تحقيق: مراجعة وتصحيح
وضبط: نخبة من العلماء الأجلاء، الطبعة: الرابعة، سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣
م، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان.

١٩. تفسير الميزان، السيد الطبطبائي، (الوفاة: ١٤٠٢)، مؤسسة النشر الاسلامي جماعة
المدرسين بقم المشرفة .

٢٠. تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي، (الوفاة: ٣٥٢)، تحقيق: محمد
الكاظم، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٠ - ١٩٩٠ م، الناشر: مؤسسة الطبع
والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - طهران.

٢١. تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي،
(الوفاة: ١١٢٥)، تحقيق: حسين درگاهي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٠٧ -
١٣٦٦ هـ. ش، الناشر: مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي.

٢٢. تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، (الوفاة: ٥٤٨)، تحقيق وتعليق: لجنة من
العلماء والمحققين الأخصائيين، الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤١٥ - ١٩٩٥ م،
الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان.

٢٣. تفسير مقتنيات الدرر، مير سيد علي الحائري الطهراني (المفسر) (الوفاة: ١٣٥٣)،
سنة الطبع: ١٣٣٧ ش، المطبعة: الحيدري بطهران، الناشر: الشيخ محمد الآخوندي
مدير دار الكتب الإسلامية.

٢٤. تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي، (الوفاة: ١١١٢)، تصحيح وتعليق: السيد
هاشم الرسولي المحلاتي، الطبعة: الرابعة، سنة الطبع: ١٤١٢ - ١٣٧٠، مؤسسة
إسماعيليان.

٢٥. توضيح نهج البلاغة، السيد محمد الحسيني الشيرازي، (الوفاة: ١٤٢٢)، الناشر:
دار تراث الشيعة - طهران - ايران.

- ١٥٢..... الشجرة النبوية في نهج البلاغة
٢٦. جمهرة الأمثال، أبي هلال العسكري، (الوفاة: ٣٩٥)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - عبد المجيد قطامش، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: صفر ١٣٨٤ - يونيو ١٩٦٤، الناشر: دار الجليل - بيروت - لبنان.
٢٧. تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، (الوفاة: ٢٨٤)، الناشر: دار صادر - بيروت - لبنان.
٢٨. الحدائق الناضرة، المحقق البحراني، (الوفاة: ١١٨٦)، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
٢٩. الخصال: الشيخ الصدوق، (الوفاة: ٣٨١)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، سنة الطبع: ١٨ ذي القعدة الحرام ١٤٠٣ - ١٣٦٢ ش، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
٣٠. خصائص الوحي المبين، ابن بطريق، (الوفاة: ٦٠٠)، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٧، الناشر: دار القرآن الكريم.
٣١. تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، الوفاة: نحو (٣٢٩)، تحقيق: تصحيح وتعليق وتقديم: السيد طيب الموسوي الجزائري، الطبعة: الثالثة، سنة الطبع: صفر ١٤٠٤، الناشر: مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر - قم - إيران.
٣٢. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، (الوفاة: ٩١١)، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان.
٣٣. دعائم الإسلام، القاضي النعمان المغربي، (الوفاة: ٣٦٣)، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، الطبعة: سنة الطبع: ١٣٨٣ - ١٩٦٣ م، الناشر: دار المعارف - القاهرة.
٣٤. دلائل النبوة: إسماعيل الأصبهاني، (الوفاة: ٥٣٥)، تحقيق: أبو عبد الرحمن مساعد بن سليمان الراشد الحميد، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع.
٣٥. روضة الواعظين، الفتال النيسابوري، تقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، الناشر: منشورات الشريف الرضي - قم.

٣٦. السيرة النبوية، ابن هشام الحميري، (الوفاة: ٢١٨)، تحقيق وضبط وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، سنة الطبع: ١٣٨٣ - ١٩٦٣ م، المطبعة: المدني - القاهرة، الناشر: مكتبة محمد علي صبيح وأولاده - بمصر.

٣٧. شرح أصول الكافي: مولي محمد صالح المازندراني، الوفاة: ١٠٨١، تحقيق: مع تعليقات: الميرزا أبو الحسن الشعراني / ضبط وتصحيح: السيد علي عاشور، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢١ - ٢٠٠٠ م، المطبعة: دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الناشر: دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

٣٨. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، (الوفاة: ٦٥٦)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٣٧٨ - ١٩٥٩ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٣٩. صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، (الوفاة: ٢٦١)، الناشر: دار الفكر - بيروت - لبنان.

٤٠. صفات الشيعة، الشيخ الصدوق، (الوفاة: ٣٨١)، المطبعة: كانون انتشارات عابدي - تهران، الناشر: كانون انتشارات عابدي - تهران.

٤١. جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي، (الوفاة: ١٣٨٣)، سنة الطبع: ١٣٩٩ المطبعة: المطبعة العلمية - قم.

٤٢. البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، (الوفاة: ١١٠٧)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة - قم.

٤٣. الطبقات الكبرى، ابن سعد، (الوفاة: ٢٣٠)، المطبعة: دار صادر - بيروت.

٤٤. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئي، (الوفاة: ١٣٢٤)، تحقيق: سيد إبراهيم الميانجي، الطبعة: الرابعة، المطبعة: مطبعة الإسلامية بطهران.

٤٥. الصحيح من سيرة الإمام علي (عليه السلام): السيد جعفر مرتضى العاملي،

١٥٤ الشجرة النبوية في نهج البلاغة

- الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٣٠ - ١٣٨٨ هـ، المطبعة: دفتر تبليغات اسلامي.
٤٦. علل الشرائع، الشيخ الصدوق، (الوفاة: ٣٨١)، تقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم، سنة الطبع: ١٣٨٥ - ١٩٦٦ م، الناشر: منشورات المكتبة الحيدرية ومطبتها - النجف الأشرف.
٤٧. عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، الشيخ الصدوق، (الوفاة: ٣٨١)، تصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي، سنة الطبع: ١٤٠٤ - ١٩٨٤ م، المطبعة: مطابع مؤسسة الأعلمي - بيروت - لبنان، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان.
٤٨. الغارات، إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي، (الوفاة: ٢٨٣)، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث.
٤٩. الفصول المختارة، الشيخ المفيد، (الوفاة: ٤١٣)، تحقيق: السيد نور الدين جعفریان الاصبهاني، الشيخ يعقوب الجعفري، الشيخ محسن الأحمدي، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤ - ١٩٩٣ م، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.
٥٠. زينب الكبرى، الشيخ جعفر النقدي، الناشر: منشورات مكتبة المفيد.
٥١. الفضائل، شاذان بن جبرئيل القمي (ابن شاذان)، الوفاة: نحو ٦٦٠، سنة الطبع: ١٣٨١ - ١٩٦٢ م، المطبعة: الحيدرية - النجف الأشرف، الناشر: منشورات المطبعة الحيدرية ومكبتها - النجف الأشرف.
٥٢. في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية، (الوفاة: ١٤٠٠)، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٧ هـ، المطبعة: مطبعة ستار، الناشر: انتشارات كلمة الحق.
٥٣. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، (الوفاة: ٨١٧)،
٥٤. قصص الأنبياء، قطب الدين الراوندي، (الوفاة: ٥٧٣)، تحقيق: الميرزا غلام رضا عرفانيان اليزدي الخراساني، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٨ - ١٣٧٦،

مؤسسة الهادي.

٥٥. الكافي، الشيخ الكليني، (الوفاة: ٣٢٩)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الخامسة، سنة الطبع: ١٣٦٣ ش المطبعة: حيدري: دار الكتب الإسلامية - طهران.

٥٦. كتاب الأربعين، محمد طاهر القمي الشيرازي، (الوفاة: ١٠٩٨)، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٨، المطبعة: أمير.

٥٧. كفاية الأثر، الخزاز القمي، (الوفاة: ٤٠٠)، تحقيق: السيد عبد اللطيف الحسيني الكوهكمرى الخوئي، سنة الطبع: ١٤٠١، المطبعة: الخيام - قم.

٥٨. كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، (الوفاة: ٣٨١)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، سنة الطبع: محرم الحرام ١٤٠٥ - ١٣٦٣ ش، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٥٩. كنز العمال، المتقي الهندي، (الوفاة: ٩٧٥)، ضبط وتفسير: الشيخ بكري حياني، تصحيح وفهرسة: الشيخ صفوة السقا، سنة الطبع: ١٤٠٩ - ١٩٨٩ م، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان.

٦٠. الأمالي، الشيخ المفيد، (الوفاة: ٤١٣)، تحقيق: حسين الأستاذ ولي، علي أكبر الغفاري، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤ - ١٩٩٣ م، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

٦١. لسان العرب، ابن منظور (الوفاة: ٧١١)، سنة الطبع: محرم ١٤٠٥، الناشر: نشر أدب الحوزة.

٦٢. الصحيح من سيرة الإمام علي (عليه السلام)، السيد جعفر مرتضى العاملي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٣٠ - ١٣٨٨، المطبعة: دفتر تبليغات اسلامي، الناشر: ولاء المنتظر (عجل الله فرجه).

٦٣. لواعج الأشجان، السيد محسن الأمين، (الوفاة: ١٣٧١)، سنة الطبع: ١٣٣١،

- مطبعة العرفان - صيدا، الناشر: منشورات مكتبة بصيرتي - قم.
٦٤. مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي، (الوفاة: ١٠٨٥)، الطبعة: الثانية سنة الطبع: شهر يور ماه ١٣٦٢ ش.
٦٥. المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، الفيض الكاشاني، الوفاة: ١٠٩١، تحقيق: صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الثانية، المطبعة: مهر - قم.
٦٦. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، العلامة المجلسي، (الوفاة: ١١١١)، قدّم له: العلم الحجّة السيّد مرتضى العسكري - إخراج ومقابلة وتصحيح السيد هاشم الرّسولي، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٠٤ - ١٣٦٣ ش، الناشر: دار الكتب الإسلامية.
٦٧. سبل الهدى والرشاد، الصالحى الشامى، (الوفاة: ٩٤٢)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٤ - ١٩٩٣ م، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
٦٨. المسترشد، محمد بن جرير الطبري (الشيعة)، (الوفاة: ق ٤)، تحقيق: الشيخ أحمد المحمودي، الطبعة: الأولى المحققة، سنة الطبع: ١٤١٥، المطبعة: سلمان الفارسي - قم، الناشر: مؤسسة الثقافة الإسلامية لكوشانبور.
٦٩. مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل، (الوفاة: ٢٤١)، الناشر: دار صادر - بيروت - لبنان.
٧٠. مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، علي الطبرسي، (الوفاة: ق ٧) تحقيق: مهدي هوشمند، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٨، المطبعة: دار الحديث.
٧١. معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، (الوفاة: ٣٨١)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، سنة الطبع: ١٣٧٩ - ١٣٣٨ ش، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم المشرفة.
٧٢. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ابن فارس) (الوفاة: ٣٩٥)،

تحقيق : عبد السلام محمد هارون، سنة الطبع : ١٤٠٤، الناشر: مكتبة الإعلام الإسلامي.

٧٣. مفاتيح الجنان (عربي)، الشيخ عباس القمي (مترجم: نجفي)، (الوفاة: ١٣٥)، تحقيق: تعريب: السيد محمد رضا النوري النجفي، الطبعة: الثالثة، سنة الطبع: ١٣٨٥ ش - ٢٠٠٦ م، المطبعة: البعثة - قم، الناشر: مكتبة العزيزي - قم.

٧٤. مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، (الوفاة: ٥٨٨)، تحقيق: تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، الطبعة: سنة الطبع: ١٣٧٦ - ١٩٥٦ م، المطبعة: الحيدرية - النجف الأشرف الناشر: المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف.

٧٥. مناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام): ابن المغازلي، (الوفاة: ٤٨٣)، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٦ - ١٣٨٤ ش، المطبعة: سبحان، الناشر: انتشارات سبط النبي (صلى الله عليه وآله).

٧٦. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، تحقيق: دار الحديث، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الحديث.

٧٧. النزاع والتخاصم، المقرزي، (الوفاة: ٨٤٥) تحقيق: السيد علي عاشور.

٧٨. إلزام النواصب، الشيخ مفلح بن الحسن الصيمري البحراني (ابن صلاح البحراني) (الوفاة: ٩ق)، تحقيق: الشيخ عبد الرضا النجفي، الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤٢٠.

٧٩. نفحات الولاية، آية الله الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، بمساعدة مجموعة من الفضلاء اعداد: عبد الرحيم الحمداني، الطبعة الثانية: ١٤٣٠ - ٢٠٠٩، الناشر: دار الجواد، بيروت لبنان.

٨٠. نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عليه السلام): ما أختاره وجمعه الشريف الرضي، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية: الدكتور صبحي صالح، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٣٨٧ - ١٩٦٧ م.

٨١. الأمالي، الشيخ الصدوق، (الوفاة: ٣٨١)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - قم، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٧ الناشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة.

٨٢. نهج الحق وكشف الصدق، العلامة الحلي، (الوفاة: ٧٢٦)، تقديم: السيد رضا الصدر، تعليق: الشيخ عين الله الحسيني الأرموي، سنة الطبع: ذي الحجة ١٤٢١، المطبعة: ستارة - قم الناشر: مؤسسة الطباعة والنشر دار الهجرة - قم.

٨٣. نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة، الشيخ المحمودي، الناشر: مؤسسة الأعلمی للمطبوعات - بيروت - لبنان.

٨٤. الوافي، الفيض الكاشاني، (الوفاة: ١٠٩١) تحقيق: عني بالتحقيق والتصحيح والتعليق عليه والمقابلة مع الأصل ضياء الدين الحسيني «العلامة» الأصفهاني الطبعة: الأولى، الناشر: مكتبة الامام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) العامة - أصفهان.

٨٥. الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، (الوفاة: ٥٧٣)، المجموعة: مصادر الحديث الشيعية - القسم العام، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام)، بإشراف السيد محمد باقر الموحد الأبطحي، الطبعة: الأولى، كاملة محققة، سنة الطبع: ذي الحجة ١٤٠٩، المطبعة: العلمية - قم، الناشر: مؤسسة الإمام المهدي - قم المقدسة.

٨٦. وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي (الوفاة: ١١٠٤)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤ المطبعة: مهر - قم الناشر: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث بقم المشرفة.

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة المؤسسة
٧	المقدمة
١١	التمهيد
٢٣	الفصل الأول: طهارة أصل الشجرة
٢٣	المبحث الأول: (مستقره ومنبته (صلوات الله وسلامه عليه))
٤٤	المبحث الثاني: شجرة النبي (صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين))
٦٩	الفصل الثاني: اختياره من شجرة النبوة
٦٩	المبحث الأول: سبب اختياره وتفضيله على سائر الرسل
٨٦	المبحث الثاني: خير البرية طفلاً وكهلاً وأجود أهل الأرض
١٠٧	الفصل الثالث: أغصان الشجرة النبوية
١٠٧	المبحث الأول: عترة النبي محمد ﷺ
١٢٤	المبحث الثاني: خصائص الشجرة النبوية
١٤٥	نتائج البحث
١٤٩	المصادر

الحمد لله